دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	آراء العياشي الفكرية في ضوء تفسيره لسورة البقرة: عرض ومناقشة
المصدر:	الثقافة والتنمية
الناشر:	جمعية الثقافة من أجل التنمية
المؤلف الرئيسي:	علي، ياسر محمد عبداللطيف
المجلد/العدد:	س18, ع117
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2017
الشهر:	يونيو
الصفحات:	33 - 113
رقم MD:	870310
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	القرآن الكريم، سورة البقرة، تفسير القرآن، العياشي، محمد بن مسعود بن محمد عياش، ت. 320 هـ
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/870310

© 2022 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

عضو أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة

آراء العياشي الفكرية في ضوء تفسيره لسورة البقرة

عرض ومناقشة

إعداد

د/ ياسر محمد عبد اللطيف علي

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

مجلة الثقافة والتنمية العدد السابع عشر بعد المائة (117) يونيه 2017م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم إلى يوم الدين

وبعد.....

فإن الدعوة إلى دين الله تعالى من أهم الواجبات على أهل العلم، الذين حملهم الله- تعالى- أمانة التبليغ إنقاذاً للناس من الضلال، وحرصاً عليهم من الفساد، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]، وتحتاج دعوة المخالفين في الرأي- دائماً- إلى برهان ساطع، وحجة واضحة لدفع الشبه ورد التهم، لذلك علم الله- تعالى- رسوله الكريم أن يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2].

ولا يخفى على الناس في الوقت الراهن ما تقوم به بعض وسائل الإعلام المتنوعة التابعة للشيعة من عرض لأصول الإسلام وقواعد الدين من خلال معتقداتهم، وهم يصدرون تلك الآراء على أنها تمثل صميم الدين، والواقع أن أصحاب هذا المنهج يستدلون على عقائدهم بالآيات القرآنية، ويفسرونها بما يتفق مع اتجاهاتهم، في صورة تتسم بتشويه المعاني وطمس الحقائق والتدليس على العامة.

ولما كانت تلك الآراء محل قبول جموع غفيرة من الشيعة في إيران وباكستان والعراق ودول الخليج، ويتلقاها أعداء الإسلام محتجين بها علينا، فقد عرضت جملة من عقائد أبرز علماء الإمامة

([1]) سورة الإسراء الآية (125).

([2]) سورة يوسف الآية (108).

في القرن الرابع الهجري، وهو أبو النصر العياشي، وذلك من خلال تفسيره لسورة البقرة، لبيان كيفية تعامل أصحاب المذهب مع القرآن الكريم من جانب، وإطلاع القراء الكرام من الشيعة والسنة – على السواء– من جانب آخر على مدى توافق تفسير العياشي مع العقيدة السليمة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد جاءت الدراسة بعنوان "آراء العياشي الفكرية في ضوء تفسيره لسورة البقرة عرض ومناقشة"، واشتملت الدراسة بعد المقدمة على تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، وهي على النحو التالي:

- المقدمة: وفيها التعريف بالعياشي ومذهبه وتفسيره.
- المبحث الأول: موقف العياشي من القرآن العظيم.
- المبحث الثاني: موقف العياشي من عقيدة الرجعة.
- المبحث الثالث: موقف العياشي من الإمامة.
- المبحث الرابع: موقف العياشي من أهل السنة.
- الخاتمة: وفيها أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع الناس، وأن يثقل بهم موازيننا، إنه قريب مجيب، وصل الله وسلم على رسوله الكريم.

د/ ياسر محمد عبد اللطيف علي

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

التمهيد

التعريف بالعياشي ومذهبه وتفسيره

أولاً: التعريف بالعياشي:

ولد أبو النصر محمد بن مسعود بن محمد عياش في سمرقند، ولم تذكر المصادر بالتحديد وقت ميلاده، ويذكر أصحاب التراجم أنه عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وتوفي سنة 320هـ[1]، يقول أغا بزرك: "هو من طبقة ثقة الإسلام الكليني"[2]، وينتهي نسبه إلى بني تميم[3].

رحل العياشي في طلب العلم إلى حواضر العالم منذ سنة 260هـ، ونقل عن أصحاب الإمام الجواد، وروى عن أصحاب أبي الحسن الهادي، وروى أيضاً عن أصحاب أبي محمد العسكري من قدماء الشيعة[4].

يقول النجاشي: "سمع العياشي أصحاب علي بن الحسن بن خالد الطيالسي وجماعة من شيوخ الكوفة وبغداد وقم[5] وبذل العياشي جهداً كبيراً وأموالاً طائلة في تحصيل علمي التفسير والحديث الذي دونه علماء الشيعة.

قال أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله: "سمعت القاضي أبا الحسن علي بن محمد يقول: "قال لنا أبو جعفر الزاهد أنفق أبو النصر على العلم والحديث تركة أبيه، وكانت ثلاثمائة دينار،

([1]) الأعلام: الزركلي 95/7 دار العلم للملايين بيروت وأنظر رجال النجاشي: ص 350 مؤسسة النشر الإسلامي قم.

([2]) الذريعة أغا بزرك الطهراني 221/4 دار الأضواء بيروت.

([3]) الكنى والألقاب: عباس القمي 491/2 مكتبة الصدر طهران.

([4]) انظر تفسير العياشي: المقدمة 1/5-6 ت قسم الدراسات الإسلامية نشر مؤسسة البعثة قم طهران 1421هـ.

([5]) رجال النجاشي: النجاشي ص 350 مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم إيران.

وكانت داره كالمسجد مملوءة بالناس بين ناسخ وقارئ أو معلق[1]، وقد روى العياشي عن إبراهيم النيسابوري، وأحمد بن عبد الله العلوي، وأحمد بن منصور الخزاعي[2]، ويعد القمي من أشهر شيوخه[3]، ومن شيوخه إبراهيم بن محمد بن فارس: ثقة من أصحاب الإمام الهادي والإمام الحسن العسكري[4]، ومنهم: أبو يعقوب إسحاق بن محمد البصري: من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، قال العياشي: هو أحفظ من رأيته ببغداد[5]، ومنهم المروزي محمد بن أحمد بن حماد: من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام[6] وللعياشي مكانة سامية عند أصحاب المذهب: يقول عباس القمي: "ثقة، صدوق، عين من عيون هذه الطائفة، وكان يروي عن الضعفاء كثيراً، وكان في أول أمره عامي المذهب، وسمع حديث العامة، فأكثر منه ثم تبصر وعاد إلينا، وكان حديث السن، بعيد بالرواية، مضطلع بها، له كتب كثيرة تزيد على مائتي مصنف، منها كتاب التفسير المعروف، ونقل عن أبي النديم أنه قال في حقه: "من فقهاء الشيعة الإمامة أوحد دهره وزمانه في غزارة العلم"[7]، ويقول عنه التستري: "أكثر أهل المشرق علماً وفضلاً وأدباً وفهماً ونبلاً في زمانه[8].

([1]) السابق ص 351.

([2]) عيون أخبار الرضا: الصدوق 56/2 منشورات مطبعة الأعلمي بيروت 1404هـ.

([3]) تفسير العياشي المقدمة، ص 9.

([4]) رجال الشيخ الطوسي، 410، رجال الكشي الكشي 530 ت السيد الحسيني دار الأعلمي بيروت.

([5]) السابق ص 531.

([6]) رجال الطوسي ص 424، رجال الكشي ص 270.

([7]) الكنى والألقاب: 491/2.

([8]) قاموس الرجال: التستري 569/9 مؤسسة النشر الإسلامي قم إيران 1419هـ.

وقد ألف العياشي في الفقه والحديث والسيرة والتاريخ والعقيدة ومن المصنفين- أيضاً- في علم الرجال، وفي مجال التفسير، ترجم له عادل النويهض في معجم المفسرين، فقال: "فقيه إمامي مشارك في عدة علوم، اشتهرت كتبه في نواحي خراسان، وله التفسير المعروف وله فضائل القرآن[1]، وقد عد بن شهر أشوب مؤلفات العياشي، ووصل بها إلى ثمانين مؤلفاً في العبادات والمعاملات والديات والأحوال الشخصية، وله مؤلف في الرجعة، كما أنه صنف عدة كتب في التراجم[2] ويعد العياشي من كبار علماء الإمامة.

ثانياً: التعريف بالشيعة الإمامة:

شيعة الرجل في اللغة: أتباعه وأنصاره، فكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع، والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيع وأصل الشيعة الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد[3].

والشيعة في الاصطلاح: هم الذين شايعوا علياً- رضي الله عنه- وقالوا بإمامته نصاً ووصية إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتبري والتبرؤ قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية"[4].

والواقع أن مصطلح الشيعة تطور عبر التاريخ، ففي أواخر خلافة علي- رضي الله عنه- ظهر من يميلون إلى حب آل البيت دون القدح في كبار الصحابة- رضي الله عنهم- فقد سأل شريك

([1]) معجم المفسرين: عادل نويهض 636/2 دار إحياء التراث العربي بيروت.

([2]) معالم العلماء: ابن شهر أشوب ص 99 منشورات المطبعة الحيدرية النجف.

([3]) لسان العرب مادة شاع.

([4]) الملل والنحل: الشهرستاني ص 63 ت سيد الكيلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

بن عبد الله بن أبي نمر فقال له أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر، فقال له السائل أتقول هذا وأنت من الشيعة؟ قال نعم إن الشيعي من قال هذا والله[1].

يقول ابن تيمية: "ولم يتهم أحد من الشيعة الأولى بتفضيل علي على أبي بكر وعمر- رضي الله عنهم- بل كانت عامة الشيعة الأولى الذين يحبون علياً يفضلون عليه أبا بكر وعمر، لكن كان فيهم طائفة ترجحه على عثمان، وكان الناس في الفتنة صاروا شيعتين شيعة عثمانية وشيعة علوية، وليس كل من قاتل مع علي كان يفضله على عثمان، بل كان كثير منهم يفضل عثمان عليه كما هو قول سائر أهل السنة"[2]، ثم ظهرت بعد ذلك جماعة ترى أحقية علي- رضي الله عنه- بالخلافة لكنها تتولى الشيخين وهم الزيدية[3]، وعلى النقيض من ذلك تماماً نرى من غالى في علي- رضي الله عنه- من الشيعة حتى قال بألوهيته وألوهية الأئمة وأباحوا المحرمات، وأسقطوا وجوب الفرائض كالبيانية[4]، والخطابية[5]، ومن جرى مجراهم فما هم من فرق الإسلام وإن كانوا منتسبين إليه[6]، أما الفريق الثالث من فرق الشيع وهو أقل تطرفاً من غلاة الشيعة "وهم من يقولون بإمامة وعصمة علي- رضي الله عنه- واثنى عشر من ولده من بعده نصاً، ويندرج تحت هذا الصنف

([1]) منهاج السنة 13/1 ت محمد سالم راشد مؤسسة قرطبة 1406هـ.

([2]) السابق 57/4.

([3]) الملل والنحل 209/1، وأنظر مقدمة ابن خلدون ص 176 طبعة الشعب.

([4]) أصحاب بيان النهدي قالوا إن الإمام القائم أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وغالوا فيه حتى قالوا بنبوته، وأدعى بيان بعد أبي هاشم النبوة، وقال الإسفراييني: وهم من جملة الغلاة يدعون ألوهية بيان بن سمعان ويزعمون أن روح الإله حل في أبي هاشم ثم رجع إلى بيان، وقال قوم بل رجعت إلى عبد الله بن عمرو بن حرب وكانوا يدعون آلهيته انظر التبصير الإسفراييني ص 32 عالم الكتب بيروت 1983م أنظر فرق الشيعة: النوبختي ص 30 المطبعة الحيدرية النجف العراق 1379هـ- 1959م.

([5]) أصحاب أبي الخطاب محمد بن زينب أقروا بموت إسماعيل بن جعفر أظهر الفساد ودعوا إلى نبوة أبي الخطاب، وخرجوا في حياة أبي جعفر بن محمد وخرج إليهم على بن موسى وقالتهم وقيل: الذين كانوا يقولون بإلهية الأئمة وكانوا يقولون إن أبا الخطاب الأسدي إله أنظر التبصير في الدين ص 160 وأنظر فرق الشيعة ص 58-59.

([6]) الفرق بين الفرق: البغدادي ص 17 دار الآفاق الجديدة بيروت ط (2) 1977م.

الإمامة، وهم الذين قالوا بإمامة علي بعد النبي- صلى الله عليه وسلم- نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين، ولذلك لقبوا بهذا اللقب[1]، وقيل في سبب تسميتها بذلك أنها جعلت الإمامة ركناً خامساً من أركان الإسلام[2]، ويراد بالإمامة في كثير من مصادر الشيعة وأهل السنة: الاثني عشرية، فقد جاء في دائرة المعارف الشيعية ما نصه: "الخاصة في اصطلاح بعض أهل الدراية: الإمامة الاثني عشرية[3]، ويقول محمد رضا المظفر في صدر كتابه عقائد الإمامة ما نصه: "وقد سجلت معتقدات آل البيت لينتفع بها المتعلم والعالم وأسميتها عقائد الشيعة وغرضي من الشيعة: الإمامة الاثني عشرية"[4].

ولم يفصل كثير من الباحثين من أهل السنة بين الإمامة والاثني عشرية، يقول ابن خلدون: "وأما الاثني عشرية فربما خصوا بالإمامة عند المتأخرين منهم[5]، ويقول الشيخ زاهد الكوثري: "والمعروف أن الإمامة هم الاثني عشرية"[6].

والواقع أن الاثني عشرية فرقة من الإمامة، يقول البغدادي: "والإمامة المفارقة للزيدية والكيسانية والغلاة فإنها خمس عشرة فرقة وعد منها الاثني عشرية[7]، والشهرستاني ذهب إلى ذلك بعدما عرف الإمامة فقال: "وتخطت الإمامة إلى الوقيعة في كبار الصحابة..... ثم قال وكانت الإمامة في الأول على مذهب أئمتهم في الأصول ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم وتمادى الزمان

([1]) الملل والنحل: الشهرستاني 161/1.

([2]) مجمل عقائد الشيعة: ممدوح الحربي ص 9 مطبعة العمرانية القاهرة 1430هـ- 2009م.

([3]) دائرة المعارف الشيعية حسين الأمين 122/17 دار التعارف بيروت 1393هـ.

([4]) عقائد الإمامة: محمد رضا ص 9 شبكة الفكر النجف الأشرف العراق 1370هـ.

([5]) تاريخ ابن خلدون 201/1 ت خليل شحادة دار الفكر بيروت ط (2) 1408هـ- 1988م.

([6]) الكوثري في تعليقه على كتاب التنبيه والرد للملطى ص 18.

([7]) الفرق بين الفرق ص 30.

واختارت كل فرقة منهم طريقة، ومنهم من ضل وتاه ولم يبال الله به بأي واد هلك ثم عد من تلك الفرق الاثني عشرية"[1]، لكن نظراً لأن الاثني عشرية أكثر فرق الإمامة شيوعاً وانتشاراً غلب اسمها على الإمامة وجاء في سبب تسميتهم بالاثني عشرية أنهم قالوا باثني عشر إماماً أولهم علي- رضي الله عنهم- وآخرهم محمد بن الحسن العسكري، الذين يزعمون أنه ولد سنة 255هـ، وهو الحجة الغائب عندهم، ويقولون بأنه دخل سرداباً في دار أبيه، ولم يخرج منه حتى الآن ويقولون بأنه غاب غيبة صغرى سنة 260هـ وغيبة كبرى سنة 329هـ[2]، ومن أسماء الإمامة الجعفرية نسبة إلى جعفر الصادق رحمه الله[3]، ولقبوا بالرافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[4]، وقيل لرفضهم إمامة زيد بن علي رحمه الله[5]، ومن عقائد الإمامة القول بتحريف القرآن والقول بعصمة الإمام كما قالوا بالرجعة وكفروا من خالف مذهبهم، وتعد الإمامة من أكثر طوائف الشيعة انتشاراً في العصر الحاضر، ولهم حضور في إيران والعراق وأفغانستان وباكستان والبحرين وعمان والكويت والإمارات العربية المتحدة وقطر والسعودية.

ثالثاً: تفسير العياشي:

يعد تفسير العياشي من أقدم التفاسير التي يعتمد عليها الشيعة الإمامة، ويلقى هذا الكتاب قبولاً لدى أصحاب المذهب نظراً لمكانة صاحبه العلمية، يقول محمد حسن الطبطبائي عن تفسير العياشي: "أحسن كتاب ألف قديماً في بابه، وأوثق ما ورثناه عن قدماء مشايخنا من كتب التفسير

([1]) الملل ص 161.

([2]) عقائد الشيعة الإمامة: أشرف الجيزاوي ص 35 دار اليقين القاهرة 1430هـ - 2009م.

([3]) رجال الكشي: الكشي 225/2 ت السيد الحسيني دار الأعلمي بيروت.

([4]) مقالات الإسلاميين: الأشعري 89/1 ت محمد محي الدين المكتبة العصرية بيروت 1411هـ.

([5]) منهاج السنة 130/2.

بالمأثور، فقد تلقاه علماء هذا الشأن منذ ألف عام إلى يومنا هذا من غير أن يذكر بقدح، أو يغمض فيه بطرف[1].

والنسخة التي اعتمدت عليها "في دراستي لعقائد العياشي" بتحقيق الأستاذ علي الكعبي من علماء الشيعة الإمامة، وقد صدرت عن قسم الدراسات الإسلامية بمؤسسة البعثة في مدينة قم بطهران، وتتسم هذه الطبعة بما يلي:

1- جاءت هذه الطبعة في جزئيين، والجزء الثاني ينتهي عند سورة الكهف، مما دفع بعض المحققين إلى القول بأن هناك جزء مفقوداً، والعياشي لم يكمل تفسيره، لكن الواقع أثبت أن العياشي أكمل تفسيره، وقد نقل ذلك عنه الحاكم الحسكاني من أعلام القرن الخامس في كتابه "شواهد التنزيل"، كما نقله الطبري في مجمع البيان، والدليل على أن الكتاب كاملاً عندهما أنهما نقلا من الجزء المفقود[2].

2- استدرك المحقق ما سقط من تفسير العياشي والذي يبدأ من سورة مريم إلى آخر سورة الناس، واعتمد في ذلك على مجمع البيان للطبري، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني، كما اعتمد على مرويات رجال الكشي وكتب الشيخ الصدوق، واستند في ذلك إلى تطابق تلك المرويات مع ما ورد في الجزء الأول من التفسير[3]، ورغم ذلك فقد خلا التفسير من بعض السور.

3- اعتمد محقق الكتاب على أربعة نسخ مخطوطة الأولى برقم (1091) مودعة في مكتبة دستغيب في شيراز، والثانية برقم (180) في مكتبة آستان قدس رضوى بمشهد، بقلم عبد

([1]) تفسير العياشي 4/1 المقدمة.

([2]) تفسير العياشي 48/1.

([3]) تفسير العياشي 52/1.

الرازق الرهابادي والثالثة برقم (7513) في نفس المكتبة، وكاتبها محمد حسين الأرموي الرضائي، والرابعة أيضاً في نفس المكتبة برقم (1490) وصاحبها حسن بن محمد عرب شاه العلوي الحسيني.

4- خرج المحقق الآيات القرآنية الواردة في التفسير وعزا الأحاديث إلى الرواة، وشرح الكلمات المبهمة، وطابق بين النسخ المخطوطة والمطبوعة، وأشار إلى المحذوف عند من نقل من العياشي.

5- من خلال دراسة سورة البقرة في تفسير العياشي رأيته ينقل كثيراً عن القمي، وبينهما توافق كثير في كثير من القضايا إلا أن القمي يكثر من القضايا العقدية، والعياشي يسهب كثيراً في ذكر القضايا الفقهية.

6- اعتمد كثير من المفسرين المتأخرين من علماء الإمامة على العياشي فنقل منه البحراني في تفسيره البرهان والحر العاملي في كتاب الوسائل، والمجلسي في كتابه بحار الأنوار، والفيض الكاشاني في تفسيره المسمى بالصافي.

7- يعتمد العياشي في تفسيره على الأحاديث الواردة عن آل البيت، وهم يعتبرونه- بناء على ذلك- من قبيل التفسير بالمأثور، بيد أن تلك الأحاديث الواردة فيه تفسيره- على كثرتها- لا ترقى إلى الصحة، وهي مرفوعة إلى أبي عبد الله (جعفر الصادق)- رحمه الله- ورغم أن عدد الآثار الواردة في سورة البقرة تقدر بخمسمائة وثلاثين حديثاً، إلا أنه لم يسند منها إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلا بضعة أحاديث، مع الأخذ في الاعتبار أن رفع تلك الأحاديث إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- لا يعني أن سندها متصل، بالمعنى المتعارف عليه في علم مصطلح الحديث.

8- لم ينسب العياشي في تفسيره إلى أمير المؤمنين إلا بضعة أحاديث، رغم أنهم لا يقبلون إلا ما جاء عنه- رضي الله عنه- يقول محمد حسين آل كاشف: "إن الشيعة لا يعتبرون من السنة إلا ما صح لهم من طرق آل البيت.... أما ما يرويه مثل أبي هريرة وسمرة بن جندب وعمرو بن العاص ونظرائهم فليس لهم عند الإمامة مقدار بعوضة[1].

9- نقل العياشي في تفسيره كثيراً من الأساطير والخرافات التي تنقص من قدر كتابه مثل حديثه عن البداء وحديثه عن التقية في حق الأنبياء عليهم السلام، ولم يخل تفسيره من المتناقضات وقد ظهر ذلك في حديثه عن الرجعة.

([1]) أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين آل كاشف الغطاء ص 79 مكتبة الإمام علي.

المبحث الأول

موقف العياشي من القرآن العظيم

يرى العياشي في ضوء تفسيره لسورة البقرة أن القرآن العظيم المدون بين دفتي المصحف الشريف محرف، وأنه أضيف إليه ما ليس منه، وحذفت منه أشياء تخص آل البيت، فقد نقل عن ميسر عن أبي جعفر أنه قال: "لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي حقنا على ذي حجي ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن"[1]، ونقل عن دواد بن فرقد، عن أبي عبد الله قال: "لو قد قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسميين"[2]، وراح العياشي يعرض للروايات التي تدعم رأيه، من ذلك ما رواه عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر بن محمد: "خرج عبد الله بن عمرو من عند عثمان فلقى أمير المؤمنين- رضي الله عنهم- فقال له: يا علي بيتنا الليلة في أمر نرجو أن يثيب الله هذه الأمة، فقال أمير المؤمنين: لن يخفى على ما بيتم فيه، حرفتهم وغيرتم وبدلتم تسعمائة حرف، ثلاثمائة حرفتم، وثلاثمائة غيرتم، وثلاثمائة بدلتم"[3] ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[4].

([1]) تفسير العياشي: العياشي 89/1 وأنظر بحار الأنوار: المجلسى: ج 19 ص 55 رقم (25) مؤسسة الوفاء بيروت لبنان 1403هـ- 1983م وأنظر أصول الكافي: الكليني 183/8 ت علي أكبر غفاري دار الكتب الإسلامية طهران ط (3) 1388هـ.

([2]) العياشي 89/1 وفي بحار الأنوار 26/55/19، والكافي 289/8.

([3]) تفسير العياشي 139/1 وأنظر بحار الأنوار 92: 26/55.

([4]) سورة البقرة الآية (79).

أنواع التحريف في منظور العياشي:

يتضح من خلال تفسير العياشي لسورة البقرة أن التحريف يعني: نقصان القرآن وتغيير معانيه، وحذف ما يخص آل البيت، وبالنظر في تفسير العياشي نجد أن التحريف عنده على أربعة أوجه:

الأول: أن القرآن العظيم الذي يقرأه المسلمون الآن يعدل ثلث القرآن الذي نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد ذكر في تفسيره عن محمد بن الكردي عن خيثمة عن أبي جعفر أنه قال: "نزل القرآن أثلاثاً ثلث فينا وفي أحبائنا، وثلث في أعدائنا وعدو من كان قبلنا، وثلث سنة ومثل وفرائض وأحكام"[1]، وفي رواية أبي جارود ذكر أن القرآن الكريم نزل على أربعة أرباع، قال سمعت أبا جعفر يقول: "نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا وربع في عدونا، وربع فرائض وأحكام، وربع سنن، ولنا كرائم القرآن"[2].

الثاني: القرآن لا يكون كاملاً إلا مع أئمة آل البيت:

جاء في تفسير العياشي عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين يقول: "ما نزلت آية على رسول- صلى الله عليه وسلم- إلا أقرانيها وأملاها علي فأكتبها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، ودعا لي أن يعلمني فهمها وحفظها فما نسيت آية، ثم قال علي: يا رسول الله أتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال الرسول- صلى الله عليه وسلم- لست أتخوف عليك نسياناً ولا جهلاً، وقد أخبرني ربي أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك، فقلت: يا رسول الله ومن شركائي من بعدي، فقال الأوصياء،

([1]) تفسير العياشي 84/1، وأنظر الكافي 2: 2/627، بحار الأنوار 89: 4/115 وأنظر الوافي: الكاشاني 1769/5 مكتبة أمير المؤمنين أصفهان 2000م.

([2]) تفسير العياشي 84/1 وأنظر الكافي 1: 3/627، الوافي 1768/9 بحار الأنوار 92: 2/114.

فقلت يا رسول الله سمهم، فقال ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين، ثم ابن له يقال له علي، ثم أقرأه تكملة اثنى عشر من ولد محمد فقلت بأبي أنت فسمهم لي؟ فسماهم رجلاً، فيهم- والله يا أخا هلال- مهدي أمة محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وإني لأعرف من يبايعه بين الركن والمقام[1]، ونقل العياشي عن مرازم، قال سمعت أبا عبد الله يقول: إنا أهل بيت لم يزل الله يبعث من يعلمه كتابه من أوله إلى آخره، وإن عندنا من حلال الله وحرامه ما يسعنا كتمانه ما نستطيع أن نحدث به أحداً[2].

الثالث: للقرآن الكريم ظاهر وباطن:

يرى العياشي أن للقرآن العظيم تفسير ظاهر، وتفسير آخر باطن لا يعرفه إلا آل البيت، فقد نقل عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر أنه قال: "ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما فيه حرف إلا وله حد ولكل حد مطلع[3] "وذهب العياشي إلى جعل آيات كثيرة في سورة البقرة تخص الشيعة دون غيرهم، وذلك بناء على رؤيته السابقة، وعلى سبيل المثال من ذلك ما يلي:

1- يقول العياشي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[4]، عن محمد بن علي عن أبي عبد الله قال: سألته عن قوله يا بني إسرائيل..... الآية، قال: "هم نحن خاصة"[5].

([1]) تفسير العياشي 92/1 وأنظر. كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق ص 285 ت علي أكبر غناري مؤسسة النشر الإسلامي قم 1405هـ، والبحار 36: 75/257 – تفسير الصافي الكاشاني 20/1 مكتبة الصدر طهران 1416هـ، والبرهان: البحراني 37/1 مؤسسة البعثة قم إيران 1107هـ.

([2]) تفسير العياشي 94/1.

([3]) مطلع أي: مصعد يصعد إليه لمعرفة علمه أنظر النهاية 132/3 العياشي الهامش 86/1.

([4]) سورة البقرة الآية (40).

([5]) تفسير العياشي 134/1، وأنظر بحار الأنوار 24: 118/397 والبرهان 210/1 وتفسير الصافي 123/1.

2- جعل العياشي قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] خاصة بآل البيت، وفي ذلك يقول: "قال أبو جعفر: نحن باب حطتكم"[2].

3- يرى العياشي أن قوله تعالى ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[3] خاصة بآل البيت، حيث قال: "إيانا عنى بذلك وأولياءه ووصيه" ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار "قال عنى بذلك من جحد وصيه ولم يتبعه من أمته، وكذلك والله حال هذه الأمة[4].

4- ذهب العياشي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا.....الآية﴾[5] تعني: علياً وفاطمة والحسن بن علي والحسين- رضي الله عنهم- وجرت في الأئمة من بعدهم[6] وقوله تعالى: "فإن آمنوا يعني: الناس "بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا تعني: علياً وفاطمة والحسن بن علي والحسين- رضي الله عنهم- وجرت في الأئمة من بعدهم[7]، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[8].

([1]) سورة البقرة الآية (58).

([2]) تفسير العياشي 135/1 وأنظر بحار الأنوار 13: 5/168 ومجمع البيان: الطبري 229/1 مؤسسة الأعلمي بيروت لبنان 1405هـ- 1995م والبرهان 229/1.

([3]) سورة البقرة الآية (126).

([4]) تفسير العياشي 156/1 وأنظر بحار الأنوار والبحار 23: 2/204 أصول الكافي 422/1، والبرهان 333/1، وتفسير الصافي 189/1.

([5]) سورة البقرة الآية (136).

([6]) تفسير العياشي 159/1 الكافي 1: 19/344.

([7]) تفسير العياشي 159/1 وأصول الكافي 415/1 وتفسير الصافي 887/1.

([8]) سورة البقرة الآية (137).

5- يرى العياشي أن المراد بقول الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[1] معرفة أمير المؤمنين[2].

6- الأمة الوسط التي ستشهد على الناس يوم القيامة هم آل البيت كما يرى العياشي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3]، وفي ذلك يقول: "نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه"[4].

7- نقل العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر أن قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[5] يراد به تسبيح فاطمة رضي الله عنها[6]، ونظير ذلك كثير في تفسير العياشي.

العياشي.

الرابع: حذف جانب من الآيات القرآنية عمداً تخص آل البيت:

يرى العياشي في تفسيره أن هناك كلمات حذفت عمداً تغير على إثرها المعنى، ومما ورد في ذلك من سورة البقرة ما يلي:

([1]) سورة البقرة (138).

([2]) تفسير العياشي 160/1 بحار الأنوار 3: 20/281.

([3]) سورة البقرة الآية (143).

([4]) تفسير العياشي 160/1 تفسير القمي: علي إبراهيم القمي 63/1 مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم طهران 1303هـ البرهان 343/1 ومجمع البيان 417/1 وبصائر الدرجات 103/1، وأصول الكافي 191/1.

([5]) سورة البقرة الآية (152).

([6]) تفسير العياشي 168/1 وأنظر بحار الأنوار 85: 8/331.

1- قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[1]، وصحة الآية- في رأي العياشي- كما نقل عن زيد الشحام برواية أبي جعفر "فبدل الذين ظلموا (آل محمد حقهم) فأنزلنا على الذين ظلموا (آل محمد حقهم) رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون"[2].

2- يرى العياشي أن هناك نقصاً في قوله الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[3]، وصحة الآية كما جاء في تفسيره " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي (علي) أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ"[4].

3- يذكر العياشي أن آية: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[5] جاءت ناقصة، وصحتها كما جاء في تفسيره "بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ" (في علي) "بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ"[6].

([1]) سورة البقرة الآية (59).

([2]) تفسير العياشي 135/1، أنظر تفسير القمي 48/1، الكافي 422/1، وبحار الأنوار 24: 8/222، الخصال: الصدوق ص 607 جماعة المدرسين قم إيران سنة 1403هـ.

([3]) سورة البقرة الآية (159).

([4]) تفسير العياشي 172/1 بحار الأنوار 2: 54/76 تفسير فرات: فرات الكافي 60/1 طهران إيران 1410هـ- 1990م، مرآة العقول: المجلسي 60/5 دار الكتب الإسلامية طهران 1404هـ.

([5]) سورة البقرة الآية (90).

([6]) تفسير العياشي 143/1 وبحار الأنوار 36: 38/98.

4- بين العياشي أن آية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] ناقصة، وتكملتها- كما قال أبو جعفر- "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا (في علي) "قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"[2].

مناقشة العياشي في رؤيته حول القرآن العظيم:

إن ما ذهب إليه العياشي في قوله بتحريف القرآن الكريم تنقضه الأدلة الدامغة ويرد عليه من وجوه:

أولاً: اعتمد العياشي في تفسيره على الأحاديث النبوية، ولم يجعل معياراً ضابطاً لصحة الحديث من عدمها، فجل ما ذكره من أحاديث إما ضعيف أو لا أصل له، وقد أثبت ذلك عباس القمي في ترجمته للعياشي[3]، وعلم مصطلح الأحاديث- الذي يبين درجة الحديث- لا وجود له عند الإمامة بالقدر الذي يسمح بالتمييز بين الآثار، وفصل الصحيح عن السقيم، بل إن هذا العلم لم يظهر في تاريخ الشيعة إلا في القرن التاسع الهجري، ويعد أول من دون في ذلك العلم: زين الدين العاملي الملقب- عندهم- بالشهيد الثاني والمتوفي سنة 965هـ في كتابه "الدراية"، بل ذهب بعض علماء الشيعة إلى أن كتاب "الدراية" نفسه منقول من كتب أهل السنة.

([1]) سورة البقرة الآية (91).

([2]) تفسير العياشي 143/1 وبحار الأنوار 36: 38/98، وأنظر كنز الدقائق: محمد رضا القمي 86/1 وزارة الثقافة والإرشاد طهران 1367هـ.

([3]) الكنى والألقاب 491/2.

يقول الحائري: "ومن المعلومات التي لا يشك فيها أحد أنه لم يصنف في دراية الحديث من علمائنا قبل الشهيد الثاني، وإنما هو من علوم العامة[1]، كما اعترف علماء الشيعة بكثرة الأحاديث الموضوعة في مصنفاتهم.

يقول محمد حسن فضل الله: "إن هناك فوضى أحاطت بالأحاديث الواردة عن الأئمة من وضاع الحديث الذين كانوا لا يكتفون بنقل الأحاديث الموضوعة بشكل مباشر، بل كانوا يدسونها في كتب أصحاب الأئمة الموثوقين كزرارة ومحمد بن مسلم وأمثالهما ليدخل الحديث الموضوع في الذهنية الإسلامية العامة من خلال هؤلاء الثقة، الذين لا يدخل الريب إلى ما ينقلونه عن الأئمة انطلاقاً من وثاقتهم[2].

ومما يقدح في الاستدلال بالآثار عند الشيعة، أن الكتب الأربعة المعتمدة عندهم في السنة وهي (الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه)، لم تكن متواترة أو قطعية الثبوت وقد شهد بذلك بعض علماء الشيعة. يقول السبحاني عن الكافي الذي يعد- في نظرهم- أوثق الكتب: "وليست رواياته (الكافي) قطعية الثبوت، فضلاً عن كونها متواترة أو مستفيضة، ولا أن القرائن الخارجية دلت على صحتها ولزوم الاعتماد عليها، بل هو كتاب شامل للصحيح والسقيم[3]، وإذا سقط الدليل انتفت المصداقية عن المستدل عليه، وعليه فلا حجة للعياشي فيما أورده من دلائل على تحريف القرآن العظيم، لأن أحاديثه لا يعتد بها.

([1]) تنزيه الشيعة الاثني عشرية: أبو طالب التبريزي ص 223 الحوزة العلمية قم طهران 1419هـ.

([2]) مقالة له في مجال لفكر الجديد عدد 9 نقلا عن استدلال الشيعة بالسنة ص 10، وأنظر حوار في العمق من أجل التقريب: صائب عبد الحميد ص 82 الغدير للدراسات والنشر بيروت لبنان 1415هـ.

([3]) كليات في علم الرجال: السبحاني ص 375 مؤسسة النشر الإسلامي قم ط (3) سنة 1414هـ.

ثانياً: إن القول بتحريف القرآن عقيدة ثابتة عند الشيعة الإمامة، يأخذها اللاحق عن السابق، ولم يكن العياشي بدعاً في ذلك، بل سبقه في القول بالتحريف شيخه القمي[1]، وذاعت تلك الفرية عبر العصور المختلفة حتى أصبحت قضية مسلمة في تراث الشيعة، وليس للشيعة من سند في ذلك، سوى أقوال علمائهم التي تضطرب في متنها، وتنقطع في سندها، يقول إحسان إلهي ظهير: "إن الشيعة في عصر الأئمة قاطبة من بكرة أبيهم- ولا أستثنى منهم أحداً- كانوا يعتقدون أن القرآن محرف ومغير زيد فيه ونقص منه كثير[2] وفي القرن الثالث عشر الهجري يؤلف الحسين الطبري[3] كتاباً بعنوان "فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب" جمع فيه ما تناثر من أقوال علماء الشيعة حول تحريف القرآن، وذلك عبر تاريخهم الطويل، وقال في مقدمة هذا الكتاب ما نصه: "الأخبار الواردة في شأن القرآن والدالة على تغيير بعض الكلمات والآيات والسور كثيرة جداً، حتى قال السيد نعمة الله الجزائري[4] في بعض مؤلفاته: "إن الأخبار الدالة على ذلك تزيد على ألفي حديث، وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد والمحقق الداماد والعلامة الجليل وغيرهم، بل ادعى تواترها جماعة من أهل العلم[5].

([1]) فقد جاء في مقدمة تفسيره: "القرآن منه ناسخ ومنه منسوخ ومنه حرف مكان حرف ومنه على خلاف ما أنزل الله راجع تفسير القمي 4/1 ت السيد الطيب الجزائري دار الكتاب للطباعة والنشر قم إيران ط (3) سنة 1404هـ.

([2]) الشيعة والقرآن: إحسان إلهي ظهير ص 33-34 ط باكستان.

([3]) الحسين النوري الطبري (1245هـ - 1320) ولد في طبرستان وانتقل إلى طهران درس في الحوزات العلمية ومن شيوخه الشيرازي وعبد الحسين الطهراني، عالم ومحدث وفقيه من شيوخ الإمامة له كتاب فصل الخطاب، وكتاب مستدرك الوسائل، وكتاب النجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب أنظر وسائل الشيعة الحر العاملي 16/1 دار إحياء التراث بيروت لبنان.

([4]) ولد بالجزائر (1050-1212هـ) رحل إلى العراق وإيران فقيه ومحدث من تلاميذ المجلس والحر العاملي والبحراني، له كتاب الأنوار النعمانية وكتاب نور البراهين وكتاب تحفة الأسرار والجواهر الغوالي ورياض الأبرار، وشرح عقائد الصدوق أنظر أعيان الشيعة 146/1 دار التعارف للمطبوعات.

([5]) فصل الخطاب: النوري الطبري ص 229 ط إيران 1405هـ.

ثالثاً: خلا القرآن العظيم من التناقض وحفظ من التباين، فآخره يصدق أوله، وبين سوره وآياته ترابط دقيق، وفيه من جمال النظم وحسن الأسلوب، وروعة البيان، ودقة التعبير ما يدل دلالة قاطعة على أنه تنزيل من حكيم حميد، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1] والمعنى: "لا يتطرق إليه الباطل ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات[2].

رابعاً: تعهد الله تعالى بحفظ القرآن الكريم من التغيير والتبديل، وصانه من التحريف، لأنه دستور البشرية الخالد، وكتابها إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3]، يقول البيضاوي: "لحافظون من التحريف والزيادة والنقص، مغايراً لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفي تطرق إليه الخلل في الدوام بضمان الحفظ له[4].

خامساً: إن الإمام علي- رضي الله عنه- صح النقل عنه بمدح جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان- رضي الله عنهما- ونعى على من يتكلمون في حرق عثمان- رضي الله عنه- لبعض المصاحف، وقال: "يا معشر الناس اتقوا الله، وإياكم والغلو في عثمان وقولكم حراق المصاحف فو الله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- ولو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل، وفي هذا رد قاطع لأولئك الذين ينسبون إليه- زورا- القول بتحريف القرآن[5].

([1]) سورة فصلت الآية (42).

([2]) روح المعاني: إسماعيل حقي 206/8 دار إحياء التراث.

([3]) سورة الحجر الآية (9).

([4]) تفسير البيضاوي: البيضاوي 362/2 دار الفكر بيروت.

([5]) الرد على تفسير الشيعة محمود صالح سعيد ص 192 دار الفاروق 1432هـ 2011م.

سادساً: جمع القرآن الكريم بمحضر من الصحابة- رضي الله عنهم- ولم ينكر منكر، ولا رد أحد من الصحابة ذلك، بل أجمعوا على استحسانه ولو كان مغيراً مبدلاً لنقل عن أحد من الصحابة أنه طعن فيه، لأن مثل هذا لا يجوز أن ينكتم في مستقر العادة، ولأنه لو كان مغيراً ومبدلاً لوجب على علي- رضي الله عنه- أن يبينه ويصلحه ويبين للناس بياناً عاماً أنه أصلح ما كان مغيراً، فلما لم يفعل ذلك بل كان يقرأه ويستعمله دل على أنه غير مبدل ولا مغير[1].

سابعاً: لقد انتهت الخلافة إلى علي بعد أبي بكر وعمر وعثمان- رضي الله عنهم- فما الذي منعه آنذاك من تدارك ما وقع القرآن العظيم من تحريف- إن كان وقع ذلك بالفعل- فهو في منعة وقوة، لقد كان- رضي الله عنه- من حفظة كتاب الله تعالى، ومن أشجع الناس في نصرة الحق، والدفاع عن الدين، ولم يثبت عنه شيئاً من هذا القبيل، فبطل ما ذهب إليه العياشي وغيره، وثبتت سلامة القرآن من التغيير والتبديل.

ثامناً: إن مفسر القرآن الكريم لابد لأن يكون على دراية كاملة باللغة العربية، حتى يستبين له معاني الكلمات ومشتقاتها، ويعرف المجمل من المفسر، ويميز بين المطلق والمقيد، ومن خلال النظر في تفسير سورة البقرة للعياشي رأيت ضعفاً شديداً له في هذا الجانب، وليس أدل على ذلك من تفسيره للزكاة بالفطرة[2] وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[3]، وتفسيره للصبر بالصوم[4] في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

([1]) المعتمد في أصول الدين: القاضي أبو يعلي ص 258 ت وديع زيدان دار المشرق بيروت لبنان 1986م.

([2]) تفسير العياشي 43/1.

([3]) سورة البقرة الآية (183).

([4]) تفسير العياشي 43/1.

وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[1]، والعياشي نفسه يجهل الفرق بين الحجة بكسر الحاء والحجة بفتحها[2]، حيث استدل على حج نبي الله موسى- عليه السلام- بقوله تعالى على لسان الرجل الصالح الذي خطب ابنته: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾[3]، وقد بدا ذلك عندما تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4] وشتان بين الحجة بالكسر التي تعني السنة، كما ورد في تفسير آية القصص وبين الحجة بالفتح التي يراد بها الفريضة المعروفة.

تاسعاً: توافرت الأدلة على عجز البشر عن الإتيان بنظير لهذا الكتاب، وفي ذلك دلالة على أنه من عند الله – تعالى – وأنه محفوظ من التغيير والتبديل، فقد تحدى الله – تعالى – الناس أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله ولو مفتريات فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فقطع عليهم الله – جل وعلا – دابر المعذرة مبينا أنه لا سبيل إلى ذلك قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[5] وهذا من أدلة وجوه سلامة القرآن من التحريف.

([1]) سورة البقرة الآية (45).

([2]) تفسير العياشي 157/1.

([3]) سورة القصص الآية (27).

([4]) سورة البقرة الآية (127).

([5]) سورة الإسراء الآية (88).

عاشراً: إن القول بتحريف القرآن العظيم يخرج صاحبه من الملة، ويسقط كلامه جملة وتفصيلاً، وهذا من أخطر القضايا التي سقطت فيها الشيعة الإمامة، واتسعت الهوة بسببها بينهم وبين أهل السنة.

يقول القاضي عياض: "وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول (الحمد لله رب العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس) أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه، وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا أنه كافر[1].

ويقول ابن قدامه: "ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر"[2].

([1]) الشفا: القاضي عياض 491/1 ت عامر الجزار دار الحديث القاهرة 1404هـ - 2004م.

([2]) لمعة الاعتقاد: ابن قدامة ص 22 ط المكتتب الإسلامي بيروت ط (3) سنة 1295هـ.

المبحث الثاني

موقف العياشي من عقيدة الرجعة

تعد عقيدة الرجعة من العقائد الثابتة لدى الإمامة، فقد نسبوا- زوراً- إلى جعفر الصادق أنه قال: "ليس منا من لم يؤمن برجعتنا"[1] كما سجل عدد من علماء الشيعة في مصنفاتهم اتفاق الفرقة على عودة الآئمة، يقول المفيد: "واتفقت الإمامة على وجوب رجعة كثير من الأموات قبل يوم القيامة"[2]، يقول المجلسي: "أجمعت الشيعة على الرجعة في جميع الأزمان واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار"[3]، وذهبت الإمامة إلى القول برجعة الإمام الثاني عشر محمد بن إسماعيل، بل قالوا بعودة بعض أهل السنة، كأبي بكر وعمر- رضي الله عنهما- وللعياشي كتاب "الرجعة" ناقش القضية فيه باستفاضة، وقد استدل هو وغيره من أئمة الشيعة على الرجعة بالآيات القرآنية التالية:

1- قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[4]، يقول العياشي في تفسير تلك الآية عن حمران بن أعين عن أبي جعفر قال قلت حدثني عن هذه الآية

([1]) الهداية: الصدوق ص 66 مؤسسة الهادي للنشر قم إيران 1418هـ، وانظر مستدرك الوسائل: حسين الطبري 451/14 مؤسسة آل البيت لإحياء التراث إيران 1409هـ - 1988م، وأنظر الأنوار الساطعة: جواد عباس الكربلائي 434/4 مؤسسة الأعلمي للنشر بيروت 1428هـ - 2007م.

([2]) أوائل المقالات: المفيد ص 46 دار المفيد بيروت لبنان 1414هـ - 1993م.

([3]) بحار الأنوار 123/53.

([4]) سورة البقرة الآية (243).

قال: "أحياهم حتى سكنوا الدور وأكلوا الطعام ونكحوا النساء ولبثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بآجالهم[1].

2- واستدل بقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

3- قول الله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[3]، وفي تفسير تلك الآية يقول العياشي: "عن جابر قال سألت أبا عبد الله عن تفسيرها فقال: "جرت في القائم عليه السلام"[4].

4- قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[5]، يقول العياشي عن جابر الجعفي عن أبي جعفر في ذلك: "يخرج القائم ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر يبايعونه بين الركن اليماني والمقام ومعه عهد نبي الله ورايته

([1]) تفسير العياشي 249/1، تفسير القمي 81/1، مجمع البيان 2: 605 والبحار 13: 2/381، وقال الكاشاني: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا من ولدي يواطئ أسمه أسمى يملأ الأرض وقسطا كما ملئت ظلما وجورا أنظر الوافي 463/2 لا.

([2]) سورة البقرة الآية (259).

([3]) سورة البقرة الآية (133).

([4]) تفسير العياشي 158/1 وأنظر تفسير الصافي 1: 174، والبرهان 336/1، وأنظر معجم أحاديث المهدي: علي الكوراني 17/5، مؤسسة المعارف الإسلامية قم طهران 1411هـ.

([5]) سورة البقرة الآية (148).

وسلاحه ووزيره، فينادي المنادي بمكة باسمه وأمره من السماء، حتى يسمعه أهل الأرض كلهم، اسمه اسم النبي- صلى الله عليه وسلم- وما أشكل عليكم فلم يشكل عليكم عهد النبي- صلى الله عليه وسلم - ورايته وسلاحه والنفس الزكية من ولد الحسين، فإن أشكل عليكم هذا فلا يشكل عليكم الصوت من السماء باسمه وأمره وإياك وشذاذ من آل محمد فإن لآل محمد وعلى راية، فألزم الأرض ولا تتبع منهم رجلاً أبداً حتى ترى رجلاً من ولد الحسين معه عهد الله نبيه وسلاحه فاتبعه"[1]، هكذا يقول العياشي عن رجعة الإمام، وقيادته للشيعة.

وقد ذكر العياشي في موضع آخر من نفس السورة "أن القائم لا يخرج في أقل من فئة والفئة لا تكون أقل من عشرة آلاف[2].

5- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[3] يقول العياشي في تفسيرها: "حين مجئ الغائب في سبع قباب من نور لا يعلم في أيها هو حين ينزل في ظهر الكوفة"[4]، وذكر في رواية أخرى عند الآية نفسها: "عن أبي جعفر قال: كأني بقائم أهل بيتي قد علا نجفكم فإذا علا نجفكم نشر راية رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فإذا نشرها انحطت عليه ملائكة بدر[5].

([1]) تفسير العياشي 164/1، وبحار الأنوار 87/222/52، وأصول الكافي 310/7.

([2]) السابق 254/1.

([3]) سورة البقرة الآية (210).

([4]) تفسير العياشي 21/1 تفسير الصافي 242/1، والبرهان 449/1/1، ومعجم أحاديث المهدي ص 45.

([5]) السابق: نفس الصفحة، وأنظر تفسير الصافي 243/1، والبرهان 449/1/1، ومعجم أحاديث المهدي ص 298.

مناقشة العياشي في عقيدة الرجعة:

القول برجعة الأموات إلى الدنيا مرة أخرى سواء كانوا أنبياء، أو أوصياء- كما يعتقد الشيعة- أو غيرهم من عامة الناس باطل من وجوه عدة منها ما يلي:

أولاً: بالنسبة للأدلة التي ساقها أئمة الشيعة الإمامة وعلى رأسهم العياشي على صحة الرجعة، أرى أنه لا دليل منها يصلح الاعتماد عليه، فقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ لا يستند به على رجعة الأموات كما يرى العياشي، بل جاءت الآية الكريمة لتظهر قدرة الله على المعاد الجسماني، يقول ابن كثير: "إن هؤلاء الناس في زمان بني إسرائيل استجمعوا أرضاً أصابهم بها وباء، فنزلوا وادياً أفيح، فأخذتهم الصيحة فماتوا، فمر عليهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فسأل الله- تعالى- أن يحييهم فأحياهم، وكان في إحيائهم دليل قاطع على المعاد الجسماني، ويؤيد ذلك ما ختمت به الآية الكريمة وهو ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ يعني: أي فيما يريهم من الآيات الباهرة والحجج القاطعة والدلالات الدامغة على قدرته تعالى[1]، فالآية الكريمة لا صلة لها بالرجعة، إنما سيقت في معرض الاستدلال على قدرة الله- تعالى- كما أن الذي سأل الله تعالى نبي من أنبيائه- عليهم السلام- وهم مجاب الدعوة، ونفس الكلام يقال عند قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ يقول ابن كثير: "قال الرجل الذي مر على قرية ورأى من شدة خرابها وبعدها عن العودة إلى ما كانت عليه- وكأنه استبعد ذلك- فأماته الله ثم أحياه ليطلعه على قدرته- تعالى- فلما رأى صنعة الخالق قال

([1]) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير 414/2 مؤسسة قرطبة القاهرة 1412هـ - 2000م.

أعلم أن الله على كل شيء قدير"[1]، يقول الطبري وفي تلك الآيات رد على منكري البعث[2].

وإذا كان العياشي اتخذ من الآيات القرآنية- السابقة- التي تثبت إحياء الله- تعالى- الموتى في الدنيا ثم إماتتهم مرة أخرى دليلاً على وقوع الرجعة، فإن العلامة فخر الدين الرازي ذكر أن تلك الآيات جاءت لتؤكد صحة الحشر والنشر، وفي ذلك يقول أي الرازي: "الاستدلال بإحياء الموتى في الدنيا على صحة الحشر والنشر، ومنها: قصة آدم- عليه السلام- ابتداء، ومنها قصة البقرة ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾، ومنها قصة إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾، ومنه قصة أصحاب الكهف: ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾، ومنها ما أظهره الله من إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام[3].

ثانياً: أما قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، والتي جعلها العياشي- في رجعة إمام الشيعة المنتظر محمد بن إسماعيل- ندرك أنها تشير إلى وصية يعقوب- عليه السلام- لبنيه بالثبات على التوحيد عند وفاته[4]، والخطاب لليهود والنصارى الذين ينسبون إلى إبراهيم- عليه السلام- ما لم يوص به بنيه، وهو الثبات على اليهودية والنصرانية!، لكن الله- تعالى- رد عليهم قولهم وكذبهم وقال لهم على سبيل التوبيخ: أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى

([1]) السابق 428/2.

([2]) جامع البيان: الطبري 428/5 مؤسسة الرسالة 1420هـ - 2000م.

([3]) مفاتيح الغيب: الرازي 279/1 دار إحياء التراث.

([4]) الدار المنثور: السيوطي 149/1 ط المكتب الإسلامي بيروت ط (3) 1409هـ.

فتدعون عن علم، أي لم تشهدوا بل أنتم تفترون![1] فأين وجه الدلالة على عودة الإمام الغائب؟!.

ثم ماذا عن صلة القوائم بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ..... الآية﴾؟

لقد جاءت الآية الكريمة في معرض الحديث عن تحويل القبلة، وعدم اتباع اليهود لقبلة الرسول الكريم وثباته هو على قبلته، ولا ثمة صلة على الإطلاق بين الآية وقائم الشيعة والمعنى كما ذكر القرطبي: "لكل صاحب ملة قبلة الله موليها إياه"[2]، ونفس الكلام ينطبق على قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ﴾، فالآية فيها تهديد للكافرين، وليس فيها أدنى شيء عن القائم أو الرجعة، بل تتحدث عن يوم القيامة، ومعناها: "هل ينظر الكفار إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة يعني يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين، فيجزي كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر"[3].

لقد دأب الشيعة على تحريف الكلم عن مواضعه، وتجرأوا على كتاب الله تعالى، وفسروه بما يوافق أهواءهم بعيداً عن القواعد المتعارف عليها لدى جمهور أهل العلم، وهذا افتراء على الله- تعالى- قال- جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ. مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[4].

([1]) الجامع لأحكام القرآن القرطبي 137/2 دار الكتب المصرية القاهرة ط (2) 1384هـ - 1964م.

([2]) السابق 164/1،

([3]) تفسير ابن كثير 274/2.

([4]) سورة يونس الآية (69 – 70).

ثالثاً: إذا كانت الإمامة جعلت إجماع أئمتهم دليلاً على وقوع الرجعة، كما أشار الطبري إلى ذلك في مجمع البيان[1]، فإن الإجماع- عندهم- لا يعني إجماع أهل العلم في عصر من العصور على حكم شرعي كما هو عند أهل السنة، إنما يراد بالإجماع عند الشيعة قول الإمام المعصوم، وفي ذلك يقول ابن المطهر الحلي: "الإجماع إنما هو حجة ما اشتمل عليه قول المعصوم"، فكل جماعة كثرت أو قلت كان قول الإمام في جملة أقوالها فإجماعها حجة لأجله لا لأجل الإجماع"[2].

ويتفق محمد رضا المظفر مع الرأي السابق فيقول: "إن الإجماع لا قيمة علمية له عند الإمامة ما لم يكشف عن قول المعصوم، فإذا كشف على نحو القطع عن قوله فالحجة في الحقيقة هي المكتشف لا الكاشف فيدخل حينئذ في السنة ولا يكون دليلاً مستقلاً في مقابلها"[3].

والحق أن مفهوم الإجماع السابق يسقط المصطلح نفسه، وتبعاً لذلك تسقط عقيدة الرجعة، وذلك لما يلي:

1- إذا وجد إمام وثبتت عصمته- كما يقولون- فلا حاجة لتمرير قوله وسط جماعة من الناس، فالمعصوم قوله وسط جماعة من الناس، فالمعصوم قوله وحي يلغي ما عداه!!؟

2- لم تزل الشيعة تجمع على آراء متنوعة عبر العصور المختلفة رغم أن المعصوم في غيبته منذ القرن الثالث الهجري!!

([1]) مجمع البيان: الطبري 252/5 دار الحياة بيروت.

([2]) تهذيب الوصول إلى علم الأصول: ابن المطهر ص 70 ط طهران 1308هـ.

([3]) أصول الفقه: المظفر 92/3 مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان 1990م.

والسؤال من ذا الذي تسلل إليه- أي الإمام- في سردابه فنقل قوله حتى يكون دعماً لقضاياهم العقدية والفقهية؟

3- يبدو أن هناك تبايناً بين علماء الشيعة حول الإجماع، يقول محمد جواد مغنية: "إن ثمة تبايناً بين موقف متقدمي الشيعة وبين موقف متأخر يهم في مسألة الإجماع، حيث اتفق المتقدمون على أن مصادر الشيعة أربعة: الكتاب والسنة والإجماع والعقل، وغالوا في الاعتماد على الإجماع حتى كادوا يجعلونه دليلا على أصل وفرع، وعد المتأخرون لفظ الإجماع مع هذه المصادر ولكنهم أهملوه، بل لم يعتمدوا عليه إلا منضماً مع دليل آخر في أصل معتبر"[1].

والمتأخرون ليسوا- أيضاً- متفقين على هذا، بل منهم من عد الإجماع دليلاً مستقلاً، فقد ذهب "الشعراني إلى جعل الإجماع دليلاً مستقلاً"[2].

وإزاء ما تقدم من تناقضات لا نعرف هل نأخذ بحكم المتقدمين من الشيعة أم نأخذ برأي المتأخرين....؟ مع الآخذ في الاعتبار أنه لا مرجح لفريق على حساب آخر، وبذلك نرفض الرأيين، ويبطل القول برجعة الأموات.

4- وإذا افترضنا- جدلاً- أن الإمامة تجمع على رجعة الأموات- على اعتبار- أن علماءهم أجمعوا عليها، فهل نقض هذا الإجماع أم لا؟

نعم، لقد أنكر بعض علماء الشيعة عودة الأموات قبل يوم القيامة وعدو القول بذلك ضرباً من العبث، فهذا الدكتور مرسي الموسوي يقول: "إن الذين ألفوا الكتب في الرجعة واستشهدوا على وقوعها بالروايات التي ذكرتها بعض الكتب المنسوبة لأئمة الشيعة لم يكتفوا إلى هذا الحد من القول

([1]) أصول الفقه للشيعة الإمامة بين القديم والحديث: مقال بمجلة رسالة الإسلام السنة الثانية عدد (3) ص 284-286.

([2]) تعاليق علمية للشعراني على شرح المازن دراني لكتاب الأصول للكليني 414/2 منشورات المكتبة الإسلامية طهران.

برجعة أئمة الشيعة فقط، بل أضافوا إليها أفكاراً أخرى، وكلها مستوحاة من تلك الروايات الموضوعة، وقالوا: إن الرجعة لا تشمل أئمة الشيعة فحسب، بل تشمل غيرهم وذكروا أسماء نفر غير قليل صحابة الرسول- صلى الله عليه وسلم- وزعموا أنهم أعداء الأئمة، وهم منعوهم من حقهم في الوصول للحكم، وفكرة الرجعة قصد منها الانتقام من الأعداء حسب زعمهم، فهي توطد دعامة التفرقة بين الشيعة والمذاهب الأخرى، تفرقة لا لقاء بعدها[1].

وقد ذهب الصادقي من علماء الشيعة المعاصرين- أيضاً- إلى أن مبدأ الرجعة عند قومه يرجع في أصله إلى ما ورد في كتب اليهود[2].

رابعاً: العقل والنقل ينقضان الرجعة، فقائم الشيعة- الذي أنكر أهل العلم ولادته أصلاً-[3] إذا رجع إلى الدنيا- فعلاً- فما ورده وما المهمة التي سيرجع من أجلها؟

هل جاء ليكمل رسالة الإسلام؟

لقد أكمل الله- تعالى- الدين، وأتم النعمة علينا قبل وفاة الرسول- صلى الله عليه وسلم- قال تعالى ﴿ اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.....﴾ [4] أم أن القائم عاد من رجعته لينشر ديناً جديداً!؟

دلت النصوص أنه لا دين بعد الإسلام ولا رسول بعد محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[5]، وقال جل وعلا: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

([1]) الشيعة والتصحيح: موسى الموسوي ص 153-154 (بتصرف) بدون 1408هـ - 1988م.

([2]) أنظر رسول الإسلام في الكتب السماوية ص 239 نقلاً عن أصول معتقد الشيعة: ناصر الفقاري ص 927.

([3]) الفرق بين الفرق: البغدادي ص 64ت محمد عثمان دار مكتبة ابن سينا القاهرة.

([4]) سورة المائدة الآية (3).

([5]) سورة آل عمران الآية (85).

عَلِيمًا﴾[1] وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون[2].

إن الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- ترك فينا كتاب الله تعالى وسنته الغراء، وفيهما أنه لا رجعة بعد الموت قبل البعث، قال تعالى واصفاً قول المحتضر من أهل الباطل عند موته: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (10) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾[5]، زَوَالٍ﴾[5]، والآيات كثيرة في هذا، والسنة النبوية أشارت في مواضع عدة إلى عدم الرجعة من الموت، الموت، فعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- قال: "لقيني رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال ما لي أراك منكسراً؟ قلت: استشهد أبي يوم أحد، وترك عيالاً وديناً، قال: أفلا أبشرك بما لقى الله بك أباك؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله قال: ما كلم الله أحداً إلى من وراء حجاب، وأحيا أباك

([1]) سورة الأحزاب الآية (40).

([2]) مسلم ك المساجد ب 371/1.

([3]) سورة المؤمنون الآية (99- 100).

([4]) سورة المنافقون الآية (10-11).

([5]) سورة إبراهيم الآية (44).

فكلمه كفاحاً، فقال: يا عبدي تمن علي أعطك، فقال: يارب تحييني فأقتل فيك، قال الرب عز وجل: إنه سبق مني أنهم لا يرجعون"[1].

إن ما ذكرته الإمامة عن أول ما يقوم به القائم- المزعوم- بعد رجعته ليدل على الحقد الدفين الذي ملأ قلوب هؤلاء تجاه الصحابة- رضي الله عنهم- بصفة خاصة، وتجاه الأمة كلها بصفة عامة، فقد جاء في بحار الأنوار عن بشير عن أبي عبد الله قال: هل تدري أول ما يبدأ به القائم؟ قلت لا: يخرج هذين يعني: أبا بكر وعمر- رضي الله عنهما- رطبين غضين، فيحرقهما ويذرهما في الريح، ويكسر المسجد[2]، وعن أبي جعفر قال: أما لو قد قام قائمنا لقد جاءت إليه الحميراء- أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها- حتى يجلدها[3]. أما الطوسي شيخ الطائفة، فقد أشار إلى عداء القائم المستحكم بعد رجوعه، فقد نقل برواية أبي عبد الله قال: القائم يهدم المسجد الحرام إلى أن قال: وقطع أيدي بني شيبة السراق وعلقها على الكعبة[4]، ونقل العياشي عن أبي عبد الله قال: "إن أول من يكر إلى الدنيا الحسين بن علي وأصحابه ويزيد بن معاوية وأتباعه فيقتلهم حذو القذة بالقذة"[5]، وتسجل مصنفات الإمامة أن المهدي يعلن الحرب على العرب، ويجعل سيفه شديداً عليهم، فعن أبي بصير أنه قال: قال أبو جعفر: "يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد

([1]) أخرجه الترمذي وحسنه (3010) وصححه الألباني في السلسلة رقم (3290).

([2]) بحار الأنوار "المجلسي" 108/56.

([3]) السابق 105/56.

([4]) الغيبة: الطوسي ص 472 مؤسسة العارف الإسلامية قم إيران 1411هـ، وأنظر مستدرك الوسائل: 182/18، وبحار الأنوار 52: 57/332.

([5]) تفسير العياشي 280/2.

وقضاء جديد وسيف على العرب شديد"[1]، وقد نسب المفيد في الإرشاد إلى أبي عبد الله أنه قال: "إذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، يفعل ذلك ست مرات، قلت: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال نعم منهم ومن مواليهم[2].

لا شك أن عرض تلك العقائد الزائفة التي تملأ بطون الشيعة، وبيان ما ينطوي تحتها من أسباب وأهداف، إنما يزكي نار العداوة بين أهل السنة والشيعة، ويؤجج الفتنة بين أفراد المجتمع، ويحي الشعوبية في نفوس الناس، فهل مهمة القائم عند رجوعه الانقضاض على العرب قاطبة وعلى رأسهم أهل السنة بزعم أنهم سلبوا الخلافة من علي رضي الله عنه، أو الادعاء أنهم قتلوا الحسين رضي الله عنه؟

لقد نبه على ذلك الدكتور موسى الموسوي من علماء الشيعة المعاصرين فقال: "والبدعة هذه تختلف عن البدع الأخرى التي أضيفت إلى الأفكار الشيعية، حيث لم يترتب عليها تنظيم سياسي عملي أو اجتماعي أو اقتصادي، اللهم إلا شيء واحد قد يكون السبب على اختلاق فكرة الرجعة وهو استكمال العداء وتمزيق الصف بمثل هذه الخزعبلات التي دونت وقيلت في انتقام الأئمة من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم[3].

([1]) بحار الأنوار 25: 354/114.

([2]) الإرشاد المفيد ص 383 دار المفيد للنشر بيروت 1414هـ- 1993م، بحار الأنوار 52: 338/79، الوافي 469/2.

([3]) الشيعة والتصحيح: موسى الموسوي ص 143.

خامساً: التباين في عرض خروج القائم وموعده ومكانه يسقط الموضوع كلية، فأقوال العياشي متباينة حول المكان الذي يخرج منه قائم آل البيت فرأي يذكر فيه أنه يخرج بين الركن اليماني والمقام، والرأي الثاني يبين أنه سيظهر في الكوفة، أما المكان الثالث فقد ذكر العياشي أنه سيظهر في النجف الأشرف، ولم يذكر العياشي سنداً واحداً يدعم به رأيه إلا الأحاديث الموضوعة، ولم يترجح لنا رأي على آخر، حيث لا وجود لمرجح أصلاً، ومن ثم تسقط جميع الروايات ويثبت- يقيناً- ضدها وهو عدم رجعة الأموات قبل البعث، وهناك تناقض آخر في عدد إتباع قائم آل البيت عند عودته هل هم ثلاثمائة كما ذكر العياشي في رواية؟ أم عشرة آلاف كما ذكر في رواية أخرى؟ والعياشي نفسه يثبت في بعض الروايات رجعة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وانضمامه لقائم الإمامة في محاربة أعداء آل البيت[1]، ومرة لا نرى ذلك، فلا نعرف أي الروايتين نصدق؟ أما عن التناقض فيما يتصل بالرجعة من أحداث فهو أوسع وأعمق. والواقع أن أمثال هذه التناقضات، والتي تملأ كتب الشيعة تهدم مذهبهم وتبطل معتقدهم، وقد سجل غير واحد من علمائهم هذه التناقضات.

يقول الكاشاني: "تراهم يختلفون في المسألة الواحدة على عشرين قولاً أو ثلاثين قولاً أو أزيد بل لو شئت أقول لم تبق مسألة فرعية لم يختلفوا فيها أو بعض متعلقاتها [2]، وقد اعترف الطوسي بأثر التباين على المذهب نفسه فقال: "التباين والاختلاف والتضاد كثير، حتى لا يكاد يتفق خبر إلا

([1]) تفسير العياشي 65/1، وأنظر مستدرك سفينة النجاة: علي النماري الشهاروردي 86/4 مؤسسة النشر الإسلامي قم إيران.

([2]) الوافي: المقدمة ص 9 مكتبة أمير المؤمنين 2000م.

وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون علينا [1].

سادساً: تشير كتب الإمامة إلى أن المهدي المنتظر يهدف إلى تغيير معالم الشريعة الإسلامية، فيجعل الميراث ليس قائماً على الأخوة في النسب بل يجعل التوارث على أساس الأخوة في المذهب، يقول الصادق: "إن الله آخى بين الأرواح في الأظلة قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام، فلو قد قام قائمنا آل البيت أورث الأخ الذي آخى بينهما في الأظلة ولم يرث الأخ من الولادة[2]، ويخالف قائم الشيعة هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم قبول الجزية من أهل الكتاب، فقد نقل العياشي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[3] ما نصه: "ولا يقبل صاحب هذا الأمر الجزية كما قبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]، بل تذكر مصنفات الشيعة أن القائم إذا رجع حكم بغير شريعة الإسلام، فقد نسب الكليني إلى أبي عبد الله أنه قال: "إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان ولا يسأل عن بينة"[5]، فهذه دلائل واضحة على أن المهدي صاحب رسالة جديدة ناسخة لشريعة الإسلام، وهذا ما نطقت به كتبهم، فعن أبي بصير أنه قال: قال أبو جعفر: "يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد، ولكأني أنظر إليه

([1]) تهذيب الأحكام: الطوسي 32/1 دار التعارف بيروت لبنان 1992م.

([2]) بحار الأنوار 250/6، وأنظر مرآة العقول 217/12 (الهامش).

([3]) سورة آل عمران الآية (83).

([4]) تفسير العياشي 60/2 بحار الأنوار 345/52، والبرهان 649/2.

([5]) أصول الكافي 397/1، الوافي 148/2 وأنظر وسائل الشيعة 230/27، بحار الأنوار 23: 86/29، وبصائر الدرجات ص 779.

بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد"[1]، وأرى أن مثل تلك الأباطيل لا تتفق مع الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سابعاً: ذهب بعض علماء الشيعة إلى أن هذه العقائد انتقلت إلى الشيعة عبر الأديان المختلفة، فقد نقلها عبد الله بن سبأ اليهودي، وزعم في بداية الأمر رجعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم قال برجعة علي- رضي الله عنه، ولما بلغه نعي أمير المؤمنين قال للذي نعاه كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمناه أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض[2]، أما آل البيت فهم براء من تلك الأقوال الفاسدة، ولما قيل للحسن بن علي- رضي الله عنه- إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة، قال كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله[3].

([1]) الغيبة: النعماني ص 237 نشر أنوار الهدى قم إيران 1422هـ، بحار الأنوار 25: 354/114.

([2]) فرق الشيعة: النوبختي ص 43-44.

([3]) سير أعلام النبلاء: الذهبي 457/3 مؤسسة الرسالة بيروت ط (9) 1413هـ - 1993م.

المبحث الثالث

موقف العياشي من الإمامة

الإمامة ليست من المسائل العقدية عند جمهور أهل السنة، إلا أن الشيعة يعدون الإمامة من القضايا العقدية، بل يعدون الإمامة أصلاً من أصول الدين، ومنهج العياشي في هذا الجانب لا يختلف عن منهج الشيعة القائم على أحقية علي – رضي الله عنه– في الخلافة بعد الرسول– صلي الله عليه وسلم– ومن ثم فقد راح العياشي يفسر سورة البقرة بما يتفق مع آرائه، ومنهجه حول الإمامة من خلال تفسيره على ما يلي:

أولاً: يرى العياشي أن الإمامة أصل الدين وعمود الإسلام معتبراً أن الملة تعني الإمامة [1]، وذلك في تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[2]، ثم ذكر أن الصبغة الواردة في قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[3] تعني: معرفة أمير المؤمنين رضي الله عنه بالولاية في الميثاق[4].

ثانياً: بين العياشي أن قبول ولاية على– رضي الله عنه– فرض على الناس وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا

([1]) تفسر العياشي 153/1.

([2]) سورة البقرة الآية (130).

([3]) سورة البقرة الآية (138).

([4]) تفسير العياشي 131/1 بحار الأنوار 36: 35/97، تفسير فرات ص 11، وشرح أصول الكافي 297/5.

تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[1]. حيث قال في تفسيرها: "آمنوا–أيها الناس–بولاية علي–رضي الله عنه–فرضاً من الله أوف لكم الجنة"[2].

ثالثاً: يذكر العياشي في تفسيره لسورة البقرة أن الإيمان بإمام آل البيت والانضمام له نجاة، والإعراض عنه هلاك وخسران، وذلك في آية: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3] حيث قال: "الهدى علي رضي الله عنه[4].

رابعاً: يذهب العياشي من خلال تفسيره لسورة البقرة أن الإمامة لا تكون إلا نصاً وفي ذرية علي–رضي الله عنه– فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[5]، يقول: "أتمهن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلي والأئمة من بعده من ولد علي"[6]، وقال إن آية: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[7] تشير إلى الأئمة من آل البيت[8].

([1]) سورة البقرة الآية (40).

([2]) تفسير العياشي 131/1، والبرهان 201/1، وكنز الدقائق 395/1، وتفسير الصراط المستقيم للبر وجردي 452/5 بدون.

([3]) سورة البقرة الآية (38–39).

([4]) تفسير العياشي 131/1.

([5]) سورة البقرة الآية (124).

([6]) تفسير العياشي 153/1 وأنظر تفسير القمي 59/1، ومجمع البيان 275/1 والصافي 181/1، والبرهان 173/1.

([7]) سورة البقرة الآية (121).

([8]) تفسير العياشي 153/1، الكافي 215/1، الوافي 888/3، والبحار 23: 6/90، ومرآة العقول 441/2،

خامساً: يدعو العياشي إلى حمل الناس على قبول إمامة آل البيت بالقوة إن لم يقبلوا بها طواعية، فقال في تفسير قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] ما نصه: "الإيمان لا يقبلونه إلا والسيف على رؤوسهم"[2].

سادساً: يحكم العياشي في تفسيره لسورة البقرة بالخلود في النار على من لم يتولى علياً- رضي الله عنه- واستند في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3] فقال: "عن مهزوم الأسدي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: قال الله تعالى: تعالى: "لأعذبن كل رعية دانت بإمام من ليس من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، و لأغفرن عن كل رعية دانت بإمام من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها سيئة، قلت: فيعفو عن هؤلاء ويعذب هؤلاء؟ قال نعم إن الله يقول: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى.....الآية﴾[4].

سابعاً: يبالغ العياشي في مدح أئمة آل البيت مبيناً أنهم يشفعون للناس يوم القيامة، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

([1]) سورة البقرة الآية (114).

([2]) تفسير العياشي 151/1، والبحار 97: 29/26، وتفسير الصافي 182/1.

([3]) سورة البقرة الآية (257).

([4]) تفسير العياشي 260/1، وأنظر مستدرك الوسائل: حسين النوري الطبري 175/18، والبحار 106/65، الصراط المستقيم: زين الدين السنباطي 127/2 المكتبة المرتضوية بدون.

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[1]، حيث نقل عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله قال: قلت من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه قال: نحن أولئك الشافعون"[2].

ثامناً: يثبت العياشي العصمة لأئمة آل البيت فنراه عند قوله تعالى:﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، يقول: "ما نميت من إمام نأت بخير منه من صلبه [4].

مناقشة العياشي في قضية الإمامة:

يتضح لي من خلال دراستي لرؤية العياشي حول الإمامة وما يتصل بها من أحكام في ضوء تفسيره لسورة البقرة أنها تصطدم مع القواعد المقررة في الإسلام وذلك لما يلي:

أولاً: الإمامة ليست من أصول الدين كما ذهب العياشي، واستدلاله بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ استدلال في غير موضعه، فملة إبراهيم- عليه السلام- التوحيد الخالص، ومعنى الآية: أن من يعدل عن التوحيد ظالم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال[5]، ولا ثمة صلة بين الآية الكريمة والإمامة، ولو كانت من أصول الدين كما ذكر العياشي وغيره من أعلام الإمامة[6] لما أغلفها القرآن الكريم، أو تغاضى عنها رسول الله صلى

([1]) سورة البقرة الآية (255).

([2]) تفسير العياشي 257/1.

([3]) سورة البقرة الآية (106).

([4]) تفسير العياشي 151/1، البحار 4: 43/116، والبرهان 307/1، وأنظر نور الثقلين: الحويري 116/1 مؤسسة إسماعليان قم إيران.

([5]) تفسير ابن كثير 98/2.

([6]) روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال: بني الإسلام على خمس الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية أصول الكافي 18/2 ط ت على أكبر الغفاري 1388هـ دار الكتب الإسلامية طهران 1388هـ، وقد قال كبار الإمامة بكفر من أنكر الولاية، ينسب الصدوق

صلى الله عليه وسلم، ويمكن القول أن الإمامة من المسائل الفرعية، وهي مهمة تناط بها مصلحة الأمة من إقامة الشعائر، وصيانة المجتمع، وحماية الديار.

يقول ابن تيمية: "نعلم بالاضطرار من دين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أن الناس كانوا إذا أسلموا لم يجعل إيمانهم موقوفاً على معرفة الإمامة، ولم يذكر لهم شيئاً من ذلك، وما كان أحد أركان الإيمان لابد أن يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الإيمان، ليحصل لهم به الإيمان، فإذا علم بالاضطرار أن هذا مما لم يكن الرسول يشترطه في الإيمان، علم أن اشتراطه في الإيمان من أقوال أهل البهتان، ولو كانت الإمامة ركناً في الإيمان لا يتم إيمان أحد إلا به لوجب أن يبين ذلك الرسول- صلى الله عليه وسلم- بياناً عاماً قاطعاً للعذر كما يبين الشهادتين والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر فكيف ونحن نعلم بالاضطرار من دينه أن الناس الذين دخلوا في دينه أفواجاً لم يشترط على أحد منهم في الإيمان بالإمامة لا مطلقاً ولا معيناً"[1].

وهذه كتب السنة تبين أركان الإسلام، وليس فيها الإمامة، فعن عبيد الله بن معاذ عن أبيه قال: قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان [2].

ثانياً: يدعو العياشي إلى الانقياد إلى إمامة علي- رضي الله عنه- معتبراً أنها فرض الله- تعالى- على الناس مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾، وهذا استدلال باطل، لأن

للرسول الكريم حديثا فيه: "أن من أنكر إمامة علي بعدي كان كمن أنكر نبوتي في حياتي، ومن أنكر نبوتي في حياتي كان كمن أنكر ربوبية ربه عز وجل" أنظر الأمالي الصدوق ص 754 ت قسم الدراسات الإسلامية نشر مؤسسة قم طهران، وقال الطوسي عن أبي جعفر أنه قال: "لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال ولم يجيء بولاية علي لأكبه الله عز وجل في النار الأمالي: الطوسي ص 308 ت قسم الدراسات الإسلامية نشر مؤسسة قم طهران.

([1]) منهاج السنة 48/1 – 49.

([2]) مسلم ك الإيمان ب بيان أركان الإسلام 45/1.

الآية توجه الناس إلى توحيده- تعالى- قال الطبري: "عهد الله إلى عباده دين الإسلام، وأوف بعهدكم يعني: الجنة[1].

يقول ابن تيمية: "والكلام في أن هؤلاء أئمة فرض الله الإيمان بهم وتلقى الدين منهم دون غيرهم ثم في عصمتهم عن الخطأ فإن كلا من هذين القولين مما لا يقوله إلا مفرط في الجهل أو مفرط في إتباع الهوى، أو كليهما فمن عرف دين الإسلام وعرف حال هؤلاء كان عالماً بالاضطرار من دين محمد – صلى الله عليه وسلم- بطلان هذا القول لكن الجهل لا حد له"[2].

ولو كانت إمامة علي- رضي الله عنه- فرض الله على الأمة، لما بايع الصحابة أبا بكر- وهو أعلم الناس بالفرائض- كما انعقدت البيعة لعمر وعثمان من بعده- رضي الله عنهم- ولم يطالب علي بإمارة أو إمامة، ولم يقل أحد من آل البيت بأحقيته في ذلك، بل أجمعت الأمة الإسلامية على إمامة الخلفاء الثلاثة- رضي الله عنهم- واستجابت لهم دونما نكير من أحد، وانقاد المسلمون- في شتى البلدان- لهم وفتحوا تحت إمرتهم البلدان، وجابوا الأقطار يبلغون رسالة الإسلام، أخرج ابن عبد البر عن عباد السماك قال: سمعت سفيان الثوري يقول: "الأئمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم"[3].

يقول الطحاوي: "وثبتت الخلافة بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أولاً لأبي بكر تفضلاً له وتقديماً له على جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب ثم لعثمان بن عفان ثم لعلي رضي الله عنهم"[4].

([1]) جامع البيان: الطبري 558/1.

([2]) منهاج السنة 454/2.

([3]) جامع البيان العلم: ابن عبد البر 35/2 دار ابن الجوزي.

([4]) العقيدة الطحاوية: الطحاوي ص 29 دار ابن حزم 1416هـ - 1995م.

ثالثاً: كيف تكون الإمامة نصاً في ذرية علي – رضي الله عنه– وأئمة آل البيت كما ذهب العياشي؟

إن الواقع أثبت خلاف ذلك، فلو أن الرسول– صلى الله عليه وسلم– نص على إمامة علي– رضي الله عنه– أو غيره من آل البيت لما خفي ذلك عليه وهو من أعلم الصحابة– رضي الله عنهم– وما كان له أن يسلم في حقه وهو من أشجع العرب، لكنه– رضي الله عنه– بايع أبا بكر وعمر وعثمان– رضي الله عنهم– وكان مستشاراً أميناً لهم، ونعم السند في معاونتهم على أعباء الخلافة، يعرف قدرهم ويعرفون فضله، ذكر الإمام مسلم في صحيحه أن علياً– رضي الله عنه– جاء فعظم من حق أبي بكر وذكر فضيلته وسابقته، ثم مضى فبايعه[1]، ولم يكن تأخره عن مبايعة الصديق– رضي الله عنهما– طعناً في إمارته، بل كان بسبب انشغاله بتمريض فاطمة– رضي الله عنها– وتسليتها عما هي فيه من الحزن على أبيها صلى الله عليه وسلم[2]، وقد ارتضى رضي الله عنه إمامة عمر بن الخطاب– رضي الله عنهما– وأشاد به وكان نعم الوزير له، فعن أنس بن سفيان عن غالب بن عبد الله العقيلي قال: "لما طعن عمر دخل عليه رجال منهم ابن عباس– رضي الله عنهم– وعمر يجود بنفسه وهو يبكي فقال له ابن عباس ما يبكيك يا أمير المؤمنين فقال له عمر: أما والله ما أبكي جزعاً على الدنيا ولا شوقاً إليها ولكن أخاف هول المطلع، فقال له ابن عباس: فلا تبك يا أمير المؤمنين فو الله لقد أسلمت فكان إسلامك فتحاً، ولقد أمرت فكانت إمارتك نصراً، ولقد ملأت الأرض عدلاً وما من رجلين من المسلمين يكون بينهما ما يكون بين المسلمين فتذكر عندهما إلا رضيا بقولك وقنعا به، قال: فقال عمر: أجلسوني فلما جلس قال عمر: أعد علي كلامك يا ابن عباس قال نعم فأعاده فقال عمر أتشهد لي بهذا عند الله يوم القيامة يا ابن عباس،

([1]) صحيح مسلم ك الأقضية ب قول النبي لا نورث ما تركناه صدقة 1380/3.

([2]) فتح الباري ابن حجر 494/7 دار الفكر العربي.

قال: نعم يا أمير المؤمنين أنا أشهد لك بهذا عند الله، وهذا علي يشهد لك وعلي بن أبي طالب جالس فقال علي بن أبي طالب نعم يا أمير المؤمنين"[1]، أما خلافة عثمان رضي الله عنه- فقد جاءت باتفاق الصحابة- رضي الله عنهم- قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "لم يجتمعوا على بيعة أحد كما اجتمعوا على بيعة عثمان"[2].

وقد ذكر البخاري أنه لما اجتمع أهل الشورى الذين عينهم عمر- رضي الله عنه- وانحصر الأمر في علي وعثمان- رضي الله عنهما- اقترح عليهما عبد الرحمن بن عوف أن يجعلوه حكماً بينهما، وأنه سيختار للخلافة أفضلهما، فقالا: نعم، ثم أخذ على كل منهما الميثاق على العمل بالعدل والمساواة والسمع والطاعة في حالة إذا ما تولى أحدهما الخلافة، ثم أخذ بيد عثمان وبايعه، ثم بايعه علي- رضي الله عن الجميع- وبعده دخل أهل الدار وبايعوا عثمان[3]، وإذا لم يكن هناك نص على إمامة علي- رضي الله عنه- فانتفاء النص علي ولاية غيره من أئمة آل البيت أولى، ومما يدل على بطلان تلك الادعاءات أن الشيعة- أنفسهم- مختلفون في الإيمان بإمامة الاثني عشر، فالفطحية يقفون بالإمامة بعد الصادق في ولده عبد الله المعروف بالأبطح[4] والوقفية[5]- مثلاً- تقف بالإمامة عند موسى بن جعفر ولا تتعداه إلى باقي الأئمة، ولذلك سموا بهذا الاسم،

([1]) منهاج السنة 24/6.

([2]) السابق 166/3.

([3]) الجامع الصحيح: البخاري 2634/6 ط (3) بيروت دار ابن كثير سنة 1987م.

([4]) فرق الشيعة ص 78 وأنظر أعيان الشيعة 20/1.

([5]) الوقفية هم الجماعة الذين توقفوا عند إمامة موسى الكاظم حين وفاته، ولم يؤمنوا بإمامة ولده علي بن موسى الرضا، بل قالوا إن الإمام الكاظم حي يرزق، وإنه هو القائم من آل محمد، وإن غيبته كغيبة موسى بن عمران عن قومه، وأنه لم يمت وإنما يعيش في الغيبة وسيرجع حينما يأذن الله له، وهذه الجماعة هم الذين يدعون بالواقفة؛ لأنهم وقفوا عند إمامة موسى بن جعفر ولم يجاوزوه إلى غيره، خلافاً للشيعة الإمامة القائلون بإمامة الأئمة الاثني عشر، والذين قالوا بإمامة جعفر الصادق ومن بعده ابنه موسى بن جعفر ولهم على إمامته براهين وحجج. أنظر فرق الشيعة ص 81 والملل والنحل ص 170.

والناووسية[1] من فرق الشيعة تقف بالإمامة عند جعفر بن محمد الصادق، ولو يواصلوا سياق الإمامة إلى باقي الاثني عشر[2]، ودلائل الإمامة على النص على إمامة علي- رضي الله عنه- رد عليهما العلماء الثقات، وبينوا أنها لا تنص على إمامة علي رضي الله عنه[3].

رابعاً: إن فرض التشيع على الناس بالقوة كما ذهب العياشي يتنافى مع القواعد المقررة في دين الإسلام يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1] يقول السدي: نزلت

([1]) الناووسية فرقة من فرق الإمامة شذت عن الحق قالت إن أبا عبد الله حي لم يمت ولا يموت حتى يظهر فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا لأنه القائم المهدي أنظر: التبصير. الإسفراييني ص 37 عالم الكتب لبنان 1403هـ - 1983م.

([2]) مقالات الإسلاميين ص 28 ومنهاج السنة 483/3.

([3]) من دلال الشيعة على إمامة علي – رضي الله عنه – قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ الآية (55) المائدة، واختلقوا قصة زاعمين أنه نزلت في علي بعدما تصدق بخاتمه في الصلاة، قال عنها ابن تيمية وقد وضع بعض الكذابين حديثا مفترى أن هذه الآية نزلت في علي لما تصدق بخاتمه في الصلاة وهذا كذب بإجماع أهل العلم بالنقل وكذبه بين من وجوه كثيرة منها أن قوله الذين صيغة جمع وعلى واحد منهاج السنة 30/2، وقال ابن كثير في تفسيره: "ليس يصح شيء فيها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها" 267/5، كما استدلوا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية (51) المائدة، قال جمهور المفسرين: "لآية عامة في عدم موالاة الكفار وليس في الآية علي دليل على ولاية علي – رضي الله عنه – انظر تفسير البيضاوي 335/2 كما آخرون نزلت في عبادة بن الصامت – رضي الله عنه- لما تبرأ من حلف قوم من اليهود كان له حلفهم راجع أحكام القرآن: ابن عربي 239/3 وابن كثير 256/5، أما الأحاديث التي استند إليها الشيعة فالصحيح منها فسروه بما يتفق مع أهوائهم، والكذب لا قبول له في ميزان العلماء يقول ابن حزم: "عمدة هذه الطوائف كلها في الاحتجاج أحاديث موضوعة مكذوبة على صحتها منها قول رسول الله صل الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام أنظر الفصل 456/1-457، أما حديث الغدير وهو عمدة الشيعة في هذا الباب وفيه أن النبي – صل الله عليه وسلم – لما رجع من حجة الوداع بين للمسمين أن عليا وصيه وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقد ذكر أهل العلم أن ما صح من الحديث "من كنت مولاه فعلي مولاه" أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح ك المناقب ب مناقب علي 633/5، وقال ابن حزم الحديث لم يصح شيء منه البتة 224/4، ولشيخ الإسلام كلام وجيه في هذا الحديث حيث قال: "إن الذي جرى يوم الغدير لم يكن مما أمر بتبليغه كالذي بلغه في حجة الوداع فإن كثيراً من الذين حجوا معه أو أكثرهم لم يرجعوا معه إلى المدينة، بل رجع أهل مكة إلى مكة وأهل الطائف إلى الطائف، وأهل اليمن إلى اليمن وأهل البوادي القريبة من ذاك إلى بواديهم، وإنما رجع معه أهل المدينة ومن كان قريباً منها، فلو كان ما ذكره يوم الغدير مما أمر بتبليغه كالذي بلغه في الحج لبلغه في حجة الوداع كما بلغ غيره فلما لم يذكر في حجة الوداع إمامة ولا ما يتعلق بها أصلاً ولم ينقل أحد بإسناد صحيح ولا ضعيف أنه في حجة الوداع ذكر إمامة علي بل ولا ذكر عليا في شيء من خطبته وهو المجمع العام الذي أمر فيه بالتبليغ العام علم أن إمامة علي لم تكن من الدين الذي أمر بتبليغه بل ولا حديث الموالاة وحديث الثقلين ونحو ذلك مما ذكر في إمامته أنظر منهاج السنة 174/7.

الآية في رجل من الأنصار يقال له أبو حصين كان له ابنان فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلما أرادوا الرجوع أتاهم ابنا أبي حصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ومضيا معهم إلى الشام فأتى أبوهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتكياً أمرهما ورغب في أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يردهما فنزلت ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[2]، أما قوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ والتي استند إليها العياشي فلا صلة لها بفرض المذهب بالسيف كما ذهب، بل تعني: "توجيه المؤمنين عدم تمكين الكفار من دخول مكة إلا تحت الهدنة والجزية، ولهذا لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أمر من العام القابل في سنة تسع أن ينادى برحاب منى" ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان له أجل فأجله إلى مدته" وقد أنجز الله هذا الوعد فمنع المشركون من دخول المسجد الحرام وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبقى بجزيرة العرب دينان وأن يجلي اليهود والنصارى منها[3].

لقد دأب العياشي على تحريف الكلم عن مواضعه، وراح يلبس على بني جلدته أقوالاً ما أنزل الله – تعالى– بها من سلطان، حتى رأينا بغي الشيعة على أهل السنة في إيران والعراق وأفغانستان، ودفعهم إلى المذهب بالقوة.

خامساً: لا يجوز الحكم بالخلود في النار على أحد من الناس بلا موجب، كما ذهب العياشي في تفسير سورة البقرة، بحجة أن المسلمين ارتضوا إمامة الخلفاء الثلاثة قبل علي رضي الله عنهم

([1]) سورة البقرة الآية (256).

([2]) المحرر الوجيز: ابن عطية 338/1 دار الكتب العلمية لبنان 1413هـ – 1993م.

([3]) سنن النسائي ك مناسك الحج ب قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد 234/5 رقم (2957) وصححه الألباني.

جميعاً، والحكم على معين بالنار باطل إلا من حكم الله عليه كأبي لهب وأبي طالب، وأهل القبلة إن ماتوا على التوحيد فلا يخلدون في النار وإن ارتكبوا الكبائر.

يقول ابن أبي العز الحنفي: "إنه لمن أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه، بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت"[1]. ومن مات على التوحيد فلا يخلد، حتى لو عذب بقدر ذنوبه، فعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة"[2].

سادساً: إذا كانت الشفاعة ثابتة بنصوص القرآن والسنة فهي بعد أن يأذن الله – تعالى– لمن يشاء ويرضى، لكن هل يرضى الله– تعالى– عن شفاعة من يسبون أبا بكر وعمر وعثمان– رضي الله عنهم– وهل يقبل الله– تعالى– شفاعة من يتهمون أم المؤمنين عائشة– رضي الله عنها– مما برأها الله منه؟ إن اتهام أم المؤمنين بعدما برأ الله ساحتها في كتابه الكريم كفر بواح، والكافرون لا تقبل شفاعتهم ولا يشفع فيهم أحد قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[3].

وأهل الشفاعة هم الملائكة الكرام و الرسل – عليهم السلام– والصالحون من عباد الله، ويدخل في ذلك آل بيت النبي إذا كانوا من أهل الصلاح، أما ما يخص الشيعة أنفسهم بتلك الميزة كما ذهب العياشي في تفسيره فهذا أمر ظاهر البطلان، لأن قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ

([1]) شرح العقيدة الطحاوية: علي بن أبي العز، 437/2، مؤسسة الرسالة، 1417هـ /1997م.

([2]) أخرجه مسلم ك الإيمان ب أدنى أهل الجنة 117/1.

([3]) سورة المدثر الآية (48).

إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ والتي استند إليها في إثبات شفاعة الشيعة للناس تعني: "أنه تعالى لا يأذن في الشفاعة لغير المطيعين، إذ كان لا يجوز في حكمته التسوية بين أهل الطاعة وأهل المعصية"[1].

سابعاً: كيف يثبت العياشي العصمة للإمام؟ وكيف يجعله مرادفاً للقرآن الكريم ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟

لقد تجرأ العياشي على كتاب الله عندما جعل الإمام مرادفاً للفظة "آية" في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ فكلام الله تعالى معصوم من الزلل، لا يتطرق إليه ريب أو خلل، والمراد بالآية هنا حكمها سواء أزيل لفظها أم بقى لفظها لأن المقصود بيان حكمة إبطال الأحكام لا إزالة ألفاظ القرآن[2]، فشتان بين الآية والإمام!!.

وأمير المؤمنين- رضي الله عنه- بشر يخطئ ويصيب، ويستغفر ويتوب، فقد ثبت عنه في كتاب نهج البلاغة- وهو متفق على صحته عند الشيعة- ونقله عنه الكليني والمفيد أنه قال: "اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدت فعد علي بالمغفرة[3]، كما نسب إليه أنه قال: "لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك علي، إلا أن يكف الله من نفسي ما هو أملك به مني فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكين لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك لأنفسنا"[4]، ولو كان أمير المؤمنين معصوماً- كما ذهب العياشي- لما كان في حاجة إلى العظة والتذكرة، لكن خلاف ذلك حدث، فقد أمره الرسول صلى الله عليه وسم ونهاه، وحثه على البر،

([1]) مفاتيح الغيب: الرازي 990/1 دار إحياء التراث العربي.

([2]) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور 654/1 الدار التونسية 1984م تونس.

([3]) نهج البلاغة شرح أبن أبي حديد 176/6، أنظر أصول الكافي 433/4، المقنعة: المفيد ص 132 مؤسسة النشر الإسلامي قم إيران 1410.

([4]) نهج البلاغة ص 216 وذكره الكليني في أصول الكافي هذه الخطبة 352/8 وعلق عليها المجلسي في مرآة العقول 517/26، وأنظر أعيان الشيعة 63/1 دار التعارف بيروت.

أخرج البخاري في صحيحه: "عن شعيب عن الزهري قال أخبرني علي بن حسين أن حسين بن علي أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت النبي عليه السلام ليلة فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلي شيئاً ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول: "وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا"[1]، وفي السنة ما يثبت استدراك الرسول صلى الله عليه وسلم على أمير المؤمنين ونهيه عن الزواج على بنته، ولو ثبتت العصمة لعلي- رضي الله عنه- لما أقدم على هذه الخطوة، وهو يعلم مدى حب الرسول الكريم لفاطمة- رضي الله عنها- فقد أخرج مسلم بسنده عن الليث بن سعد قال ابن يونس حدثنا ليث حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي التيمي أن المسور بن مخرمة حدثه: "إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول: " إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ثم لا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها[2]، وأئمة آل البيت أحوج إلى التوبة والاستغفار من أمير المؤمنين- رضي الله عنه- فكان أبو عبد الله يقول: "إنا لنذنب ونسيء ثم نتوب إلى الله متاباً"[3]، وكان موسى الكاظم يقول كما سجلت كتب الشيعة: "رب عصيتك بلساني ولو شئت وعزتك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو شئت لأعميتني، وعصيتك بسمعي بيدي ولو شئت وعزتك أصممتني[4] وكل ذلك من دلائل نفي العصمة عنهم، ولئن استندت الشيعة في قولها بعصمة الإمام "بأن الإمام لو

([1]) البخاري ك بدء الوحي ب تحريض النبي على صلاة الليل 50/2.

([2]) مسلم ك فضائل الصحابة ب من فضائل فاطمة رضي الله عنها 1902/4.

([3]) بحار الأنوار 207/25، وأنظر الأنوار الساطعة: جواد عباس 213/3 منشورات الأعلمي بيروت لبنان 1428هـ- 2007م.

([4]) السابق 203/25 (الهامش).

جاز عليه الخطأ للزم وجود آخر يسدده، ولو وجب عليه الإنكار سقط محله من القلوب"[1]، وعليه يلزم التسلسل، وهو باطل، ومن ثم وجب القول بعصمة الإمام قلت: "العصمة لمجموع الأمة لأن الإمام عرضة للخطأ والصواب، ومجموع الناس إن اتفقوا على أمر من الأمور فرأيهم أصوب، ووجهتهم أدق وأحسن، فالأمة لا تجتمع على ضلالة، ولذلك يقول ابن تيمية: "إثبات العصمة، للمجموع أولى من إثباتها للواحد ومن جهل الرافضة إنهم يوجبون عصمة واحد من المسلمين ويجوزون على مجموع المسلمين الخطأ إذا لم يكن فيهم واحد معصوم والمعقول الصريح يشهد أن العلماء الكثيرين مع اختلاف اجتهاداتهم إذا اتفقوا على قول كان أولى بالصواب من واحد[2].

والحق أن القول بعصمة الأئمة من افتراءات ابن سبأ اليهودي، فقد كان أول من ابتدع القول بالنص على إمامة علي وعصمته، هادفاً إلى إفساد دين الإسلام ويريد أن يصنع بالمسلمين ما صنع بولس بالنصارى [3].

([1]) النكت الاعتقادية: المفيد ص 40 ت رضا المختاري نشر المؤتمر العالمي لألفية المفيد ط 1413هـ.

([2]) منهاج السنة 408/6.

([3]) السابق 427/6-428.

المبحث الرابع

موقف العياشي من أهل السنة

طعن العياشي من خلال تفسيره لسورة البقرة في الصحابة – رضي الله عنهم– بصفة خاصة، وفي أهل السنة بصفة عامة، وكان للخلفاء الثلاثة– رضي الله عنهم– الحظ الوفير من طعن العياشي وبغيه، مدعياً أنهم اغتصبوا الخلافة من علي– رضي الله عنه– وراح يسقط عليهم معظم الآيات التي اشتملت على ذم، ولم يسلم أهل السنة– بصفة عامة– من سهام العياشي، بحجة أنهم تولوا الخلفاء الثلاثة الأول رضي الله عنهم.

أولاً: موقف العياشي من الصحابة رضي الله عنهم:

اتهم العياشي الصحابة – رضي الله عنهم– بالكفر والظلم واستند في ذلك إلى الآيات التالية:

1- تكفير الخلفاء الثلاثة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1]، يقول العياشي عند هذه الآية: "الذين كفروا بآياتي فلان وفلان و فلان [2] يعني بذلك أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وقد نص المجلسي في مرآة العقول على ذلك صراحة فقال: "فلان وفلان يعني أبا بكر وعمر[3].

([1]) سورة البقرة الآية (126).

([2]) تفسير العياشي 154/1، أنظر البرهان 324/1، غاية المرام: البحراني 129/3 بدون.

([3]) مرآة العقول: المجلسي 167/26 دار الكتب الإسلامية طهران 1411هـ.

2- رمى بالكفر الخلفاء ومن تبعهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]، حيث قال عندها: "عنى بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام، فلما أن تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر"[2].

3- اتهم العياشي الخلفاء الثلاثة ومن تبعهم بالظلم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[3]، فقال: "أتمهن بمحمد وعلي والأئمة من بعده، أما في قوله ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فقد ذكر عندها ما نصه "قال الرسول صلى الله عليه وسلم: يا رب يكون من أمتي ظالم قال: نعم فلان وفلان و فلان ومن اتبعهم[4].

4- ذم الأمة الإسلامية كلها لأنها اتبعت الخلفاء الثلاثة فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[5] "هم أولياء فلان وفلان و فلان اتخذوهم أئمة من دون الإمام[6] يعني بذلك الخلفاء الثلاثة ومن تبعهم من المسلمين، ثم قال أبو جعفر لجابر راوي الحديث: "والله يا جابر هم أئمة الظلم وأشياعهم"[7].

([1]) سورة البقرة الآية (257).

([2]) تفسير العياشي 139/1، أصول الكافي 276/1، والوافي 120/2، والبحار 369/8، ومستدرك الوسائل 174/18.

([3]) سورة البقرة الآية (124).

([4]) تفسير العياشي 153/1، البحار 25: 14/202، والبرهان 373/1، وكنز الدقائق 138/2.

([5]) سورة البقرة الآية (165).

([6]) تفسير العياشي 173/1، البرهان 369/1، البحار 363/8، مستدرك الوسائل 171/1.

([7]) العياشي 174/1، الوافي 183/2، مستدرك الوسائل 176/18، بحار الأنوار 363/8، تفسير الميزان: الطبطبائي 409/1 جماعة المدرسين قم إيران، والبرهان 372/1.

5- ذكر العياشي أن خلافة أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما– من طرق الشيطان فقال عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[1]: "خطوات الشيطان ولاية الأول والثاني"[2].

6- يرى العياشي أن اليسر الذي أراده الله – تعالى – للمسلمين أمير المؤمنين علي أما العسر الذي لم يرده فهو الصديق والفاروق– رضي الله عنهم– وذلك في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[3] فقال: "اليسر علي، والعسر فلان وفلان[4].

7- اتهم الخلفاء الثلاثة ومعاوية– رضي الله عنهم– ومن اتبعهم بالرياء وذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[5]، حيث في تفسيرها: عن أبي بصير عن أبي عبد الله أن الآية نزلت في فلان وفلان و فلان ومعاوية وأشياعهم[6].

8- حكم العياشي بخلود المخالفين لعلي – رضي الله عنه– في النار فقال عند قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[7] هم أعداء علي المخلدون في النار أبد الآبدين ودهر الدهرين[1].

([1]) سورة البقرة الآية (165).

([2]) تفسير العياشي 213/1، بحار الأنوار 230/65.

([3]) سورة البقرة الآية (264).

([4]) تفسير العياشي 187/1، البحار 36: 41/99.

([5]) سورة البقرة الآية (186).

([6]) تفسير العياشي 272/1، البرهان 544/1، وبحار الأنوار 30: 75/215.

([7]) سورة البقرة الآية (168).

9- العياشي يكفر المختلفين مع علي – رضي الله عنه– في موقعة الجمل، حيث نقل في تفسيره عن الأصبغ بن نباته قال: كنت واقفاً مع علي– رضي الله عنه– يوم الجمل، فجاء رجل حتى وقف بين يديه، فقال يا أمير المؤمنين: كبر القوم وكبرنا، وهلل القوم وهللنا وصلى القوم وصلينا فعلام نقاتلهم؟

فقال علي– رضي الله عنه– نقاتلهم على هذه الآية ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[2] ثم قال علي: آمنا وهم الذين كفروا فقال الرجل كفر القوم ورب الكعبة، ثم حمل فقاتل حتى قتل[3].

10- يعتقد العياشي بكفر بني أمية، وذلك في تفسيره لقوله تعالى:﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[4] حيث يقول: "فباؤوا بغضب يعني: بني أمية، وللكافرين يعني: بني أمية"[5].

([1]) تفسير العياشي 174/1-175، أصول الكافي 375/1، وأنظر الولاية الإلهية الإسلامية: محمد القمي 135/1 مؤسسة النشر الإسلامي قم إيران.

([2]) سورة البقرة الآية (253).

([3]) تفسر العياشي 256/1، الاحتجاج: الطبري 149/1 منشورات النجف الأشرف 1386هـ - 1966م، بحار الأنوار 29: 40/451، البرهان 515/1، كنز الدقائق 394/2، تفسير الميزان: الطبطبائي 323/2 منشورات جماعة المدرسين قم إيران.

([4]) سورة البقرة الآية (90).

([5]) تفسير العياشي 143/1، تفسير فرات: فرات الكوفي 60/1 ط طهران إيران 1410هـ = 1990م.

11- ذهب العياشي إلى تكفير كل من جحد وصية الرسول لعلي – رضي الله عنه– بالإمارة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال العياشي "إيانا عنى بذلك وأولياؤه وشيعه وصيه" أما قوله ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1] فقال عندها: "عنى بذلك من جحد وصيه ولم يتبعه من أمته، وكذلك حال هذه الأمة[2].

مناقشة مذهب العياشي في أهل السنة:

هذا تفسير العياشي يعرض رؤيته عن الخلفاء الثلاثة – رضي الله عنهم– ويذكر وجهة نظره في المسلمين الذين ارتضوا إمامة أبي بكر وعمر وعثمان– رضي الله عنهم– والحق أن ما ذهب إلى تفسيره– الذي يحظى بقبول كبير لدى جمهور الشيعة– ينم عن عداء مستحكم للأئمة الثلاثة، ويظهر عدم معرفة العياشي بأصول الدين المجمع عليها، والدلائل على ذلك ما يلي:

أولاً: تفاسير العياشي شاذة لا تقوم على أساس سليم:

فالمرء عند النظر إلى معاني الآيات الكريمة في كتب التفسير المعتمدة والتي دونها العلماء الثقات، ويطابق بينها وبين ما ذهب إليه العياشي في تفسيره يدرك البون الشاسع بين الحق والباطل، فهذه تفسيرات سورة البقرة للأئمة الطبري وابن كثير والقرطبي وغيرهم تعرض للآيات الكريمة، وتبين تأويلها، ومن لديه أدنى ثقافة من الشيعة يدرك مدى التجني الواضح من العياشي على كتاب الله تعالى!!.

([1]) سورة البقرة الآية (126).

([2]) تفسير العياشي 156/1، بحار الأنوار 24: 2/204، الصافي 189/1، البرهان 333/1، كنز الدقائق 148/2، تفسير نور الثقلين الحويري 405/2 مؤسسة إسماعليان قم إيران.

لقد راح العياشي يفسر الآيات حسب عقيدته التي نشأ عليها، وليته قرأ الآيات، وتدبر معانيها، وعرف السياق التي جاءت فيه، فقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ لا تمت من قريب ولا من بعيد إلى الشيعة أو غيرهم، بل هي عامة جاءت لتفصل بين الإيمان والشرك، يقول ابن كثير: "يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام، فيخرج عباده من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل، وأن الكافرين إنما وليهم الشيطان يزين لهم ما هم فيه من الجهالات، ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون[1]، فالطاغوت يراد به عند معظم المفسرين الشيطان أو الأصنام[2]، ويدخل في ذلك كل ما يصد عن ذكر الله تعالى، لكن العياشي بدلاً من تفسير الآية كما وردت استأثر لجماعته بالجزء الأول، وجعل الجزء الثاني من الآية في أهل السنة، هكذا يصدرون العقائد أولاً ويبحثون لها عن دلائل، وشتان بين رؤية العياشي لكتاب الله تعالى ورؤية السلف الصالح.

ثانياً: إن تكفير الصحابة – رضي الله عنهم– أو غيرهم من المسلمين كما ذهب العياشي دون موجب لذلك افتراء على الدين وتجرأ على أحكام الشرع، ثم ما الجرم الذي ارتكبه الصحابة حتى يحكم العياشي بهذا الحكم الجائر؟

لقد ورد النهي الصريح عن تكفير أهل القبلة فما بالكم بسادة البشر!؟ عن أبي ذر – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم– يقول: "لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك[3].

([1]) تفسير ابن كثير 449/2 مؤسسة قرطبة مكتبة التراث 1419هـ – 2000م.

([2]) أنظر مفاتيح الغيب: الرازي 996/1.

([3]) أخرجه البخاري ك الأشربة ب كيف يكون الرجل في أهله 200/9.

قال ابن عبد البر عن التكفير بغير حق: "فقد باء القائل بذنب كبير وإثم عظيم، واحتمله بقوله ذلك، وهذا غاية في التحذير من هذا القول النهي عن أن يقال لأحد من أهل القبلة: يا كافر"[1].

ثالثاً: الصحابة كلهم عدول، وحاشا لهم أن يظلموا أحداً- كما ذكر العياشي- فهم أدرى من غيرهم بحقوق الناس، لقد تكاثرت أقوال العلماء في إثبات عدالتهم- رضي الله عنهم- فكيف يقدم أي منهم لا سيما الخلفاء الثلاثة على أخذ حقوق الناس، ولهم من الثناء العاطر في القرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال أهل العلم ما ليس لغيرهم، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3] وقال جل شأنه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[4]، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم في مواضع عدة إلى مكانة الصحابة رضي الله عنهم- فقال: "خير الناس قرني ثم الذي يلونهم ثم الذين يلونهم فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال ثم يختلف من بعدهم خلف تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته[5]، وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم

([1]) التمهيد: ابن عبد البر 22/17ط وزارة الأوقاف المغرب 1387هـ.

([2]) سورة التوبة الآية (100).

([3]) سورة التوبة الآية (117).

([4]) سورة الفتح الآية (18).

([5]) صحيح مسلم ك فضائل الصحابة ب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم 1962/4.

أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه[1]، عن عبد الله ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ[2].

يقول الإمام أحمد ومن السنة ذكر محاسن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، والكف عن الذي جرى بينهم، فمن سب أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو واحدا منهم فهو مبتدع رافضي، حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة [3].

يقول الطحاوي: " ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نفرط في حب أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"[4].

ويقول الخطيب البغدادي: "نقطع بعدالتهم ونعتقد نزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمذكيين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين، وهذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء [5].

([1]) صحيح البخاري ك المناقب ب فضل أبي بكر 85/6 رقم (3673).

([2]) تفسير ابن كثير 451/5 وأخرجه أحمد في مسنده 379/1.

([3]) عقيدة أهل السنة في الصحابة: عبد المحسن بن حمد ص 19 دار ابن خزيمة القاهرة 1420هـ - 2000م.

([4]) شرح العقيدة الطحاوية: أبن أبي العز الحنفي ص 356 1426هـ - 2005م.

([5]) الكفاية: الخطيب البغدادي 49/1 المكتبة العلمية المدينة المنورة.

يقول ابن القيم: " فالله – عز وجل– أعلم حيث يجعل رسالاته أصلاً وميراثاً فهو أعلم بمن يصلح لتحمل رسالته فيؤديها إلى عباده بالأمانة والنصيحة وتعظيم المرسل والقيام بحقه والصبر على أوامره والشكر لنعمه والتقرب إليه، من لا يصلح لذلك. وكذلك هو سبحانه أعلم بمن يصلح من الأمم لوراثة رسله والقيام بخلافتهم وحمل ما بلغوه عن ربهم [1].

وقد أجمع العلماء الثقات على عدالتهم، ولعل السبب في ذلك "أنهم نقلة الدين وحملة الشريعة فلو ثبت توقف في روايتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما استرسلت على سائر الأعصار"[2]، يقول النووي: ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهادتهم وروايتهم وكمال عدالتهم"[3]، ويقول ابن حجر: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة"[4].

رابعاً: يقف العياشي موقف المدافع عن آل البيت ضد الخلفاء الثلاثة – رضي الله عنهم– وكأنه نصب نفسه حامي بيت النبوة، ويعرض في تفسيره صورة هلامية من الصراع بين الخلفاء وعلي– رضي الله عنهم– تلك الصورة التي لا وجود لها إلا في مخيلة الشيعة، وهي منثورة في تراثهم، وبين الحقيقة وما يصوره العياشي بون شاسع، وكتب التراجم ماثلة بين أيدينا تسجل صفحات مشرقة من علاقة آل البيت بالخلفاء رضي الله عنهم.

فهذا محمد بن الحنفية يقول: قلت لأبي يا أبت من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال بني أو ما تعرف؟ قلت لا، قال: أبو بكر، فقلت: ثم من؟ قال: عمر، قال وخشيت

([1]) طريق الهجرتين: ابن القيم ص 171 دار السلفية القاهرة ط (2) 1394هـ.

([2]) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: السخاوي 112/3 دار الكتب العلمية.

([3]) شرح صحيح مسلم النووي 149/15 دار إحياء التراث العربي بيروت ط (2) سنة 1292هـ.

([4]) الإصابة: ابن حجر 6/1 دار الجيل بيروت 1412هـ.

أن يقول عثمان فقلت ثم أنت، فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين [1]. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في موضع آخر لا أوت بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري [2].

وهذا ابن عباس وقد سئل عن أبي بكر فقال: "كان رحمه الله للقرآن تالياً، وللشر قالياً وعن المنكر ناهياً، وبالمعروف آمراً، ولله صابراً وعن الميل إلى الفحشاء ساهياً، وبالليل قائماً وبالنهار صائماً وبدين الله عارفاً، ومن الله خائفاً وعن المحارم جائفاً، وعن الموبقات صارفاً فاق أصحابه ورعاً وقناعة، ثم قيل له: فما تقول في عمر؟ قال: رحمة الله على أبي حفص كان والله حليف الإسلام ومأوى الأيتام، ومحل الإيمان ومنتهى الإحسان ونادي الضعفاء ومعقل الخلفاء، كان للحق حصناً وللناس عوناً، قام بحق الله صابراً محتسباً حتى أظهر الدين وفتح الديار وذكر الله- عز وجل- على التلال والبقاع، وقوراً لله في الرخاء والشدة شكوراً له في كل وقت، فأعقب الله من يبغضه الندامة إلى يوم القيامة، قيل فما نقش خاتمه حين ولي الأمر؟ قال: نقش عليه الله المعين لمن صبر، قيل له فما تقول في عثمان؟ قال رحم الله أبا عمرو كان والله أفضل البررة وأكرم الحفدة، كثير الاستغفار هاجداً بالأسحار، سريع الدموع عند ذكر النار دائم الفكر فيما يعنيه بالليل والنهار، مبادراً إلى كل مكرمة، وساعياً إلى كل منجية، فراراً من مهلكة وفياً نقياً حفياً، ومجهز جيش العسرة وصاحب بئر رومة وختن المصطفى صلى الله عليه وسلم، فأعقب الله من قتله البعاد إلى يوم التناد[3].

وقال عبد الله بن الحسن: "ما أرى رجلاً يسب أبا بكر وعمر- رضي الله عنهما- تيسر له توبة"[4]، ولما سئل جعفر الصادق عن الصحابة قال: عن أبي بكر الصديق ملأ قلبه بمشاهدة

([1]) البخاري ك فضائل الصحابة ب لو كنت متخذاً خليلاً رقم (6371).

([2]) السنة: أحمد بن حنبل 562/2 دار ابن القيم ت محمد سالم 1986م.

([3]) الرياض النضرة في مناقب العشرة: محب الطبري 50/1-51 دار المعرفة بيروت لبنان 1418هـ - 1997م.

([4]) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام: ناصر الشيخ 851/1 مكتبة الرشيد الرياض 1413هـ - 1993م.

الربوبية، وكان لا يشهد مع الله غيره، فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه لا إله إلا الله، وكان عمر يرى كل ما دون الله صغيراً حقيراً في جنب عظمة الله، وكان لا يرى التعظيم لغير الله، فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه: الله أكبر، وعثمان كان يرى ما دون الله معلولاً إذا كان مرجعه إلى الفناء، وكان لا يرى التنزيه إلا الله، فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه سبحان الله[1].

والخلفاء- رضي الله عنهم- كانوا يعرفون لآل البيت قدرهم، فهذا أبو بكر- رضي الله عنه- يقول: "ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم في أهل بيته[2]، وقال: "والله لقرابة رسول الله أحب إلى من قرابتي[3]. وكان عمر يقدم أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم- في العطاء على جميع الناس، ويفضلهم في العطاء على جميع الناس، حتى إنه لما وضع الديوان للعطاء، وكتب أسماء الناس قالوا: نبدأ بك. قال: لا. ابدأ بأقارب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وضعوا عمر حيث وضعه الله، فبدأ ببني هاشم، وضم إليهم بني المطلب؛ لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: "إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيء واحد"[4] فقدم العباس وعلياً والحسن والحسين وفرض لهم أكثر مما فرض لنظرائهم من سائر القبائل، وفضل أسامة بن زيد على ابنه في العطاء فغضب ابنه وقال: تفضل علي أسامة؟ قال فإنه كان أحب إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من أبيك[5].

خامساً: أبو بكر وعمر- رضي الله عنهما- من طرائق الحق، وليسا من خطوات الشيطان كما ذكر العياشي، وقد خالف العياشي في ذلك جمهور المفسرين من الشيعة الذين أجمعوا على أن

([1]) الرياض النضرة 52/1.

([2]) البخاري ك المناقب ب مناقب قرابة الرسول 20/5.

([3]) شرح السنة: البغوي 142/11ط المكتب الإسلامي 1420هـ - 1986م.

([4]) البخاري ك المناقب ب مناقب قريش 179/4.

([5]) آل رسول وأولياؤه: محمد عبه قاسم ص 65.

خطوات الشيطان وساوسه ومغرياته لإضلال الناس ومن ذلك الكاشاني: والطبطبائي في تفسيره ومحمد رضا القمي[1]، والكليني نفسه وهو حجة الإمامة في التفسير والحديث، وكان معاصراً للعياشي لم يذكر أبا بكر وعمر– رضي الله عنهما– في تفسيره للآية الكريمة بل قال فيها: "لا تتبعوا سبل الشيطان فإنه عدو مبين في ولايتنا"[2]، وجمهور المفسرين من أهل السنة يعتبرون خطوات الشيطان مسالكه لإضلال الناس[3]، أما الصديق والفاروق– رضي الله عنهما– فقد بشرهما الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة، فعن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه أن سعيد بن زيد حدثه في نفر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عشرة في الجنة وعد منهم أبا بكر وعمر[4]، وجعل العمل بهديهما من سنته فعن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين للمهديين عضواً عليها بالنواجذ[5]، وأمرنا بالاقتداء بهما، عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر[6]، فمن يجادل يجادل بعد ذلك فهو باغ معتد، ثم ما الدلائل التي استند إليها العياشي في تفسير العسر بأبي

([1]) انظر الصافي 210/1، تفسير الميزان 410/1 نشر جماعة المدرسين قم إيران، وأنظر كنز الدقائق 462/4.

([2]) أصول الكافي 417/1.

([3]) أنظر تفسير الرازي 850/1 وأنظر روح المعاني 267/1، وأنظر تفسير ابن كثير 273/2.

([4]) سنن الترمذي ك المناقب ب مناقب عبد الرحمن بن عوف 648/5 وصححه الألباني.

([5]) سنن الترمذي ك العلم ب ما جاء في الأخذ بالسنة 44/5 وقال حديث حسن.

([6]) سنن الترمذي ك المناقب ب مناقب أبي بكر (3596) وصححه الألباني.

بكر وعمر وتفسير اليسر بعلي- رضي الله عنهم- لقد جاءت الآية الكريمة في معرض الحديث عن الصوم وما يتعلق به من أحكام، ومن ذلك تيسير الله- تعالى- على عبادة بإباحة الفطر للمريض والمسافر منعاً للحرج، ودفعاً للمشقة، وهذا من رحمة الله بعباده، وقد خالف العياشي في ذلك جمهور المفسرين من السنة والشيعة الذين أدركوا من الآية جانباً من رحمة الله وتيسيره[1].

سادساً: أما عن أصحاب الجمل- رضي الله عنهم- والذي أدعى العياشي كفرهم بلا دليل، وانساق خلفه جمهور الإمامة فأقول: إن الفتنة التي حدثت في نهاية حكم عثمان- رضي الله عنه- والتي دبرت من خلال أعداء الأمة- إنما هي أحداث أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم في مواضع عدة، فعن مرة بن كعب قال لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قمت وذكر الفتن فقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان قال فأقبلت عليه بوجهه فقلت هذا قال نعم[2]، فعن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: ذكر رسول الله- صلى الله عليه وسلم فتنة فقال: يقتل فيها هذا مظلوماً لعثمان بن عفان[3]، وعن قيس قال حدثني أبو سهلة قال: قال لي عثمان يوم الدار أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قد عهد إلى عهداً فأنا صابر عليه[4]، بل إنه- صلى الله عليه وسلم- دعاه إلى الثبات على الحق وعدم النزول على رغبة الخارجين عليه فقد روت

([1]) أنظر تفسير البيضاوي 446/1 وتفسير الرازي 765/1 وتفسير ابن كثير 182/2، ومن تفاسير الشيعة الصافي 17/7، وبحار الأنوار 79/6 والتبيان للطلوسي 124/2 دار إحياء التراث والتفسير الكاشف لمحمد جواد مغنية 281/1 دار العلم للملايين بيروت 1968، كما ذكر ذلك الحلي في مختلف الشيعة 460/3 مؤسسة النشر جماعة المدرسين قم إيران، وذكره المفيد في المقنعة ص295.

([2]) الترمذي ك المناقب ب مناقب عثمان رقم (3637) وقال حديث حسن صحيح.

([3]) الترمذي ك المناقب ب مناقب عثمان رقم 3641) وقال حديث حسن غريب.

([4]) الترمذي ك المناقب ب مناقب عثمان رقم (3644) وقال حديث حسن صحيح.

عائشة- رضي الله عنها- أنه قال: يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه[1]، فأصحاب الجمل من الفريقين على التوحيد، وليس فيهم كفار كما ذكر العياشي[2]، بل في الفريقين كبار الصحابة- رضي الله عنهم- وقد تأول الجميع، فعلي ومن معه إنما خرجوا لقتال من يريد أن يفرق بين المسلمين، وقدموا ذلك على القصاص من قتلة عثمان- رضي الله عنه- وهذا اجتهاد، مع الأخذ في الاعتبار صعوبة القصاص آنذاك من جموع غفيرة أعلنت تمردها على الدولة، فلم يفرط علي- رضي الله عنه - في دم عثمان وطلحة والزبير إنما خرجا ومعهما أم المؤمنين — رضي الله عن الجميع — بحثا عن دم عثمان وهذا اجتهاد أيضاً، ولم يكن هؤلاء كفرة كما ذهب العياشي، وأمير المؤمنين علي- رضي الله عنه- لم يكفر المختلفين معه في الجمل أو يحكم عليهم بالخلود في النار كما ذكر العياشي، بل قال عنهم لما سئل: "أمشركون هم؟ قال: لا، من الشرك فروا. فقيل: أمنافقون؟ قال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: له فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا"[3].

سابعاً: معاوية بن أبي سفيان من الصحابة- رضي الله عنهم- وهو خال المؤمنين ومن كتاب الوحي، ولم يكن كافراً كما ذهب العياشي[4]، بل رفض مبايعة علي قبل القصاص لابن عمه عثمان- رضي الله عنهم- وهذا اجتهاد منه- وللمجتهد إن أخطأ أجر وإن أصاب له أجران، ولمعاوية- رضي الله عنه- من المناقب ما يحميه من عبث الإمامة وغيرهم من أهل الباطل، فعن عمير بن سعد- رضي الله عنه- قال لا تذكروا معاوية إلا بخير فإني سمعت رسول الله

([1]) السابق ك المناقب ب مناقب عثمان رقم (3638) وقال حديث حسن غريب.

([2]) تفسير العياشي 137/1.

([3]) الجامع لأحكام القرآن القرطبي 323/16 دار الكتب المصرية بيروت 1334هـ - 1964م.

([4]) السابق 148/1.

صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم اجعله هادياً مهدياً وأهد به"[1]، وأخرج البخاري في صحيحه: "أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، قالت أم حرام: قلت يا رسول الله أنا فيهم: قال أنت فيهم، وقال صلى الله عليه وسلم: "أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر – القسطنطينية – مغفور لهم، فقالت: أنا فيهم يا رسول الله قال: لا[2]، وهذا الحديث فيه منقبة لمعاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنه- وذلك لأن أول جيش غزي في البحر كان بإمرة معاوية[3]، وتاريخ معاوية- رضي الله عنه- حافل بالعطاء في ميادين البر، وآثاره منشورة في كتب التراجم لمن أراد المزيد.

ثامناً: إن اتهام العياشي لبني أمية بالكفر لون من العبث لاصطناع عدوات زائفة بين المسلمين، فبنو أمية جزء أصيل من المجتمع الإسلامي، آل إليهم الحكم بعد انقضاء الخلافة الراشدة، وهم أبناء عمومة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، وكانوا من السابقين إلى الإسلام، فمنهم عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية الذي أسلم على يد أبي بكر- رضي الله عنهما- في بدء الدعوة، وكان أبناء سعيد بن العاص خالد وعمرو- رضي الله عنهما- من السابقين إلى هذا الدين، فخالد كان خامساً في الإسلام وهاجر إلى الحبشة، وهاجر أخوه عمرو الهجرتين، كما كان خالد وأبان ابناً سعيد من كتاب الوحي، أما معاوية فقد سبق الحديث عنه، فهو خال المؤمنين ومن كتاب الوحى، وقد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم الحكومات المتعاقبة في الأمة بعد وفاته، ومنها حكم بني أمية فعن جابر بن سمرة قال: قال النبي صلى الله عليه

([1]) البخاري في التاريخ الكبير 240/5.

([2]) البخاري ك الوصايا ب ما قيل في قتال الروم 42/4.

([3]) شرح صحيح البخاري: ابن بطال 11/5 مكتبة الرشيد السعودية ط (2) سنة 1422هـ - 2002م.

وسلم: "لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه فقلت لأبي ما قال؟ فقال: كلهم من قريش"[1].

يقول ابن تيمية: "فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي- رضي الله عنهم- ثم تولى من اجتمع الناس عليه، وصار له عز ومنعة، معاوية وابنه يزيد ثم عبد الملك وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك حصل في دولة الإسلام من النقص ما هو باق إلى الآن، فإن بني أمية تولوا على جميع أرض الإسلام، وكانت الدولة في زمنهم عزيزة والخليفة يدعى باسمه: عبد الملك وسليمان، لا يعرفون عضد الدولة ولا عز الدين وبهاء الدين وفلان الدين وكان أحدهم هو الذي يصلي بالناس الصلوات الخمس وفي المسجد يعقد الرايات ويؤمر الأمراء وإنما يسكن داره، لا يسكنون الحصون، ولا يحتجبون عن الرعية) [2]. وكل ما ذكره العياشي وغيره من المغرضين عن بني أمية محض خيال، فقد انتشر الإسلام في عهدهم وعم أرجاء المعمورة، وسجل ذلك غير واحد من المؤرخين الثقات.

يقول الطبري: "ولم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء إلا عليه الغزو؛ فمنهم من يغزو، ومنهم من يخرج بدلاً منه، قال: وكان لهشام بن عبد الملك مولى يقال له يعقوب، فكان يأخذ عطاء هشام مائتي دينار وديناراً، يفضل بدينار، فيأخذها يعقوب ويغزو. وكانوا يصيرون أنفسهم في أعوان الديوان، وتفقد هشام بعض ولده ولم يحضر الجمعة، فقال له: ما منعك من الصلاة؟ فقال: نفقت دابتي، فقال: أعجزت عن المشي فتركت الجمعةَ؟! فمنعه الدابة سنة [3].

([1]) مسلم ك الإمارة ب الناس تبع لقريش 1452/3.

([2]) منهاج السنة 125/8.

([3]) تاريخ الأمم والملوك: الطبري (219/4) دار الكتب العلمية بيروت ط (1) سنة 1407هـ.

ويقول ابن كثير: "فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك، فقد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، ولا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين، وهذا قتيبة بن مسلم يفتح في بلاد الترك حتى وصل إلى تخوم الصين وأرسل إلى ملكها يدعوه، فخاف منه وأرسل له هدايا وتحفاً وأموالاً كثيرة، وبعث يستعطفه مع قوته وكثرة جنده، حتى إن ملوك تلك النواحي كلها كانت تؤدي إليه الخراج، خوفاً منه ولو عاش الحجاج لما أقلع عن بلاد الصين، ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وابن أمير المؤمنين الوليد يفتحون في بلاد الروم، ويجاهدون بعساكر الشام حتى وصلوا إلى القسطنطينية، وبنى بها مسلمة جامعاً وامتلأت قلوب الفرنج منهم رعباَ، ومحمد بن القاسم ابن أخي الحجاج يجاهد في بلاد الهند، ويفتح مدنها في طائفة من جيش العراق وغيرهم، وموسى بن نضير يجاهد في بلاد العرب ويفتح مدنها وأقاليمها في جيوش الديار المصرية وغيرها، وكل هذه النواحي إنما دخل أهلها في الإسلام وتركوا عبادة الأوثان[1].

([1]) البداية والنهاية: ابن كثير 87/9 مكتبة المعارف بيروت.

الخاتمة

يبدو لي من خلال هذا العرض الموجز لآراء العياشي الفكرية من خلال تفسيره لسورة البقرة ما يلي:

أولاً: علماء الشيعة لا يعملون عقولهم فيما يكتبون، فجل ما ذكره العياشي في تفسيره منقول عن السابقين من الشيعة، دونما تمحيص لما ينقل أو وضع معايير محددة لبيان صحة المنقول من خطأه، وهكذا يفعل معظم علماء الشيعة في كثير من مؤلفاتهم.

ثانياً: من أخطر ما يصيب الشيعة في الوقت الراهن أنهم يسلمون لعلمائهم ويقدسون تراثهم، ويقبلون ما يملى عليهم بلا نظر أو تدقيق، وهذا فيه إلغاء لعقلية العامة والخاصة منهم، ذلك لأن قضايا العقيدة محور أساس يقوم عليها إيمان الإنسان من عدمه.

ثالثاً: علم مصطلح الحديث لا وجود له في تراث الشيعة الإمامة، وهم يقومون بالتلبيس على الناس في هذا الباب بنشر الأقوال في الجرح والتعديل، وذكر مصنفاتهم في هذا الباب، حتى يوهموا الناس بمصداقيتهم في هذا العلم، لكن الحقيقة أبعد ما تكون عن ذلك.

رابعاً: رغم أن الشيعة تصنف ضمن الفرق الإسلامية في تراث أهل السنة، إلا أن الدراسة أثبتت أن هناك خليطاً من العقائد كالرجعة وعصمة الإمام وتقديس القبور والاستغاثة نقلت إليهم من أديان أخرى ونحل وضيعة.

خامساً: يحتاج الإعلام الموجه بأشكاله المختلفة إلى مواجهة قوية من ولاة الأمور في الدول العربية، منعاً للكذب والافتراء على أئمة آل البيت، وحفاظاً على عقول المسلمين، وبخاصة أن الجهات الإعلامية المدعمة مالياً وسياسياً تنشر آراء فكرية منسوبة إلى أئمة آل البيت وهم منها براء.

سادساً: لابد من استخدام التقنيات الحديثة لتفنيد كل الآراء الشيعية التي تذاع عبر الأجهزة الإعلامية المختلفة، وتعرية أتباعها منعاً لنشر الفرقة بين المسلمين.

سابعاً: التنبيه على أهمية ملاحقة كتب التفسير المعتمدة لدى الشيعة الإمامة من خلال أقسام العقيدة والدعوة والتفسير في جامعة الأزهر، وتفنيد كل ما جاء فيها من أباطيل وعرض ذلك بصورة واسعة حرصاً على عقول الناس، ووفاء بواجب الدعوة إلى الله تعالى.

هذا، والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى، وأن ينفع به القارئ الكريم، إنه سميع قريب مجيب، وصل الله وسلم على رسوله الكريم.

د/ ياسر محمد عبد اللطيف علي

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

مراجع البحث

1- جامع البيان: الطبري مؤسسة الرسالة 1420هـ- 2000م.

2- مفاتيح الغيب: الرازي دار إحياء التراث.

3- الدر المنثور: السيوطي ط المكتب الإسلامي بيروت ط(3) 1409هـ.

4- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي دار الكتب المصرية القاهرة ط (2) 1384هـ- 1964م.

5- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير مؤسسة قرطبة القاهرة 1412هـ - 2000م.

ثانياً: كتب السنة وشروحها:

6- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل.

7- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج.

8- سنن الترمذي.

9- سنن النسائي.

10- الأعلام: الزركلي دار العلم للملايين بيروت.

11- رجال النجاشي: مؤسسة النشر الإسلامي جامعة المدرسين قم إيران.

12- الذريعة: أغا برزك دار الأضواء بيروت.

13- الكنى والألقاب: عباس القمي مكتبة الصدر طهران.

14- تفسير العياشي: ت قسم الدراسات الإسلامية نشر مؤسسة البعثة قم طهران 1421هـ.

15- عيون أخبار الرضا الصدوق: منشورات مطبعة الأعلمي بيروت 1404هـ.

16- رجال الطوسي: منشورات المطبعة الحيدرية النجف.

17- رجال الكشي: ت السيد الحسيني دار الأعلمي بيروت.

18- معالم العلماء: ابن شهر أشوب منشورات المطبعة الحيدرية النجف.

19- الملل والنحل: الشهرستاني سيد الكيلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

20- منهاج السنة: ت محمد سالم راشد مؤسسة قرطبة 1406هـ.

21- مقدمة ابن خلدون: طبعة الشعب.

22- التبصير: الإسفارين عالم الكتب بيروت 1983م.

23- فرق الشيعة: النوبختي المطبعة الحيدرية النجف العراق 1379هـ- 1959م.

24- الفرق بين الفرق: البغدادي دار الآفاق الجديدة بيروت ط (2) 1977م.

25- مجمل عقائد الشيعة: ممدوح الحربي مطبعة العمرانية القاهرة 1430هـ- 2009م.

26- دائرة المعارف الشيعية: حسين الأمين دار التعارف بيروت 1393هـ.

27- عقائد الإمامة: محمد رضا شبكة الفكر النجف الأشرف العراق 1370هـ.

28- تاريخ ابن خلدون: ت خليل شحادة دار الفكر بيروت ط (2) 1408هـ- 1988م.

29- عقائد الشيعة الإمامة: أشرف الجيزاوي دار اليقين القاهرة 1430هـ- 2009م.

30- مقالات الإسلاميين: الأشعري ت محمد محي الدين المكتبة العصرية بيروت 1411هـ- 1999م.

31- أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين آل كاشف الغطاء مكتبة الإمام علي.

32- بحار الأنوار: المجلسي مؤسسة الوفاء بيروت لبنان 1403هـ- 1983م.

33- أصول الكافي: الكليني ت علي أكبر غفاري دار الكتب الإسلامية طهران ط (3) 1388هـ.

34- الوافي: الكاشاني مكتبة أمير المؤمنين أصفهان 2000م.

35- كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق ت على أكبر غفاري مؤسسة النشر الإسلامي قم 1405هـ.

36- بصائر الدرجات: أبو جعفر الصفار منشورات الأعلمي 1404هـ.

37- مجمع البيان: الطبري مؤسسة الأعلمي بيروت لبنان 1405هـ- 1995.

38- تفسير القمي: علي إبراهيم القمي مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر قم طهران 1303هـ.

39- الخصال: الصدوق جماعة المدرسين قم إيران سنة 1403هـ.

40- تفسير فرات: الكوفي طهران إيران 1410هـ- 1990م.

41- مرآة العقول: المجلسي دار الكتب الإسلامية طهران 1404هـ.

42- كنز الدقائق: محمد رضا القمي وزارة الثقافة والإرشاد طهران 1367هـ.

43- تنزيه الشيعة الاثني عشرية: أبو طالب التبريزي الحوزة العلمية قم طهران 1419هـ.

44- حوار في العمق من أجل التقريب صائب عبد الحميد الغدير للدراسات والنشر بيروت لبنان 1415هـ.

45- كليات في علم الرجال السبحاني مؤسسة النشر الإسلامي قم ط (3) سنة 1414هـ.

46- الشيعة والقرآن إحسان إلهي ظهير ص ط باكستان.

47- وسائل الشيعة: الحر العاملي دار إحياء التراث بيروت لبنان.

48- فصل الخطاب: النوري الطبري ط إيران 1405هـ.

49- روح المعاني: إسماعيل حقي دار إحياء التراث.

50- تفسير البيضاوي: البيضاوي دار الفكر بيروت.

51- الرد على تفسير الشيعة: محمود صالح سعيد دار الفاروق 1432هـ- 2011م.

52- المعتمد في أصول الدين: القاضي أبو يعلي ت وديع زيدان دار المشرق بيوت لبنان 1986م.

53- الشفا: القاضي عياض ت عامر الجزار دار الحديث القاهرة 1404هـ- 2004م.

54- لمعة الاعتقاد: ابن قدامه ط المكتب الإسلامي بيروت ط (3) سنة 1295هـ.

55- الهداية: الصدوق مؤسسة الهادي للنشر قم إيران 1418هـ.

56- مستدرك الوسائل: حسين الطبري مؤسسة آل البيت لإحياء التراث إيران.

57- الأنوار الساطعة: جواد عباس الكربلائي مؤسسة الأعلمي للنشر بيروت 1428هـ- 2007م.

58- أوائل المقالات: المفيد دار المفيد بيروت لبنان 1414هـ- 1993م.

59- معجم أحاديث المهدي: علي الكوراني مؤسسة المعارف الإسلامية قم طهران 1411هـ.

60- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير مؤسسة قرطبة القاهرة 1412هـ.

61- جامع البيان: الطبري مؤسسة الرسالة 1420هـ- 2000م.

62- مفاتيح الغيب: الرازي دار إحياء التراث.

63- الدر المنثور: السيوطي ط المكتب الإسلامي بيروت ط(3) 1409هـ.

64- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي دار الكتب المصرية القاهرة ط (2) 1384هـ- 1964م.

65- المحرر الوجيز: ابن عطية دار الكتب العلمية لبنان 1413هـ- 1993م.

66- تهذيب الوصول إلى علم الأصول: ابن المطهر ط طهران 1308هـ.

67- أصول الفقه: المظفر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان 1990م.

68- تعاليق علمية للشعراني على شرح المازن درأني لكتاب الأصول للكليني: منشورات المكتبة الإسلامية طهران.

69- الشيعة والتصحيح: موسى الموسوي بدون 1408هـ- 1988م.

70- صحيح مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

71- سنن الترمذي: الإمام الترمذي ت أحمد شاكر دار إحياء التراث بيروت.

72- الغيبة: الطوسي مؤسسة العارف الإسلامية قم إيران 1411هـ.

73- الوافي: المقدمة مكتبة أمير المؤمنين 2000م.

74- تهذيب الأحكام: الطوسي دار التعارف بيروت لبنان 1992م.

75- سير أعلام النبلاء الذهبي: مؤسسة الرسالة ط (9) 1413هـ- 1993م.

76- تفسير الصراط المستقيم: البر وجردي بدون.

77- الصراط المستقيم: زين الدين السنباطي المكتبة المرتضوية بدون.

78- نور الثقلين: الحويري مؤسسة إسماعيليان قم إيران.

79- جامع بيان العلم: ابن عبد البر دار ابن الجوزي.

80- العقيدة الطحاوية: الطحاوي ابن حزم 1416هـ- 1995م.

81- فتح الباري: ابن حجر دار الفكر العربي.

82- الجامع الصحيح: البخاري ط (3) بيروت دار ابن كثير سنة 1987م.

83- المحرر الوجيز: ابن عطية دار الكتب العلمية لبنان 1413هـ- 1993م.

84- سنن النسائي: الإمام النسائي مؤسسة الرسالة 1421هـ- 2001م.

85- شرح العقيدة الطحاوية: علي بن أبي العز مؤسسة الرسالة، 1417هـ- 1997م.

86- التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور الدار التونسية 1984م.

87- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل دار ابن كثير دمشق 1421هـ- 2002م.

88- الأنوار الساطعة: جواد عباس منشورات الأعلمي بيروت لبنان 1428هـ- 2007م.

89- النكت الاعتقادية: المفيد رضا المختاري نشر المؤتمر العالمي لألفية المفيد ط 1413هـ.

90- تفسير الميزان: الطبطبائي جماعة المدرسين قم إيران.

91- الولاية الإلهية الإسلامية: محمد القمي مؤسسة النشر الإسلامي قم إيران.

92- الاحتجاج: الطبري منشورات النجف الأشرف 1386هـ- 1966م.

93- تفسير نور الثقلين: الحورين مؤسسة إسماعيليان قم إيران.

94- عقيدة أهل السنة في الصحابة: عبد المحسن بن حمد دار ابن خزيمة القاهرة 1420هـ.

95- الكفاية: الخطيب البغدادي المكتبة العلمية المدينة المنورة.

96- طريق الهجرتين: ابن القيم دار السلفية القاهرة ط (2) 1394هـ.

97- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: السخاوي دار الكتب العلمية.

98- شرح صحيح مسلم: النووي دار إحياء التراث العربي بيروت ط (2) سنة 1292هـ.

99- الإصابة: ابن حجر دار الجيل بيروت 1412هـ.

100- السنة أحمد بن حنبل دار ابن القيم ت محمد سالم 1986م.

101- الرياض النضرة في مناقب العشرة: محب الطبري دار المعرفة بيروت لبنان 1418هـ-1997م.

102- عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام: ناصر الشيخ مكتبة الرشيد الرياض 1413هـ-1993م.

103- شرح السنة: البغوي ط المكتب الإسلامي 1420هـ- 1986م.

104- التبيان: الطوسي دار إحياء التراث.

105- التفسير الكاشف: لمحمد جواد مغنية دار العلم للملايين بيروت 1968م.

106- مختلف الشيعة: الحلي مؤسسة النشر جماعة المدرسين قم إيران.

107- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي دار الكتب المصرية بيروت 1334هـ- 1964م.

108- شرح صحيح البخاري: ابن بطال مكتبة الرشيد السعودية ط (2) سنة 1422هـ- 2002م.

109- تاريخ الأمم والملوك: الطبري دار الكتب العلمية بيروت ط (1) سنة 1407هـ.

110- البداية والنهاية ابن كثير مكتبة المعارف بيروت.